علماء ومفكرون معاصرون

لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

٢٦

محمد الطاهر ابن عاشور

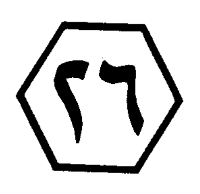
علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه

تأليف

إياد خالد الطبّاع



علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم





محمد الطاهر ابن عاشور

عَلَّامَةُ ٱلفِقهِ وَأُصُولِهِ وَٱلتَّفْسِيرِ وَعُلُومِهِ

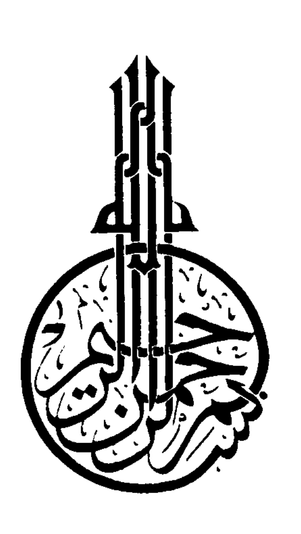
١٢٩٦ - ١٣٩٤ هـ

١٨٧٩ - ١٩٧٣ م

تأليف

إياد خالد الطبّاع

دار القلم
دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

تُطلب جميع كتُبنا من :
دَار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدّار الشّاميّة - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزّع جميع كتبنا في السّعودية عن طريق
دَار البشير - جدّة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

المقــدّمَة

الحمـد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسـلام على النبـيِّ الأميـن محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ من النِّعَمِ التي أنعمَ اللهُ بها على عباده المؤمنين: أن جعل مِن بينِهِم أئمةً هُداةً، يهدون بهديه، فيفسِّرون آياته، ويستنبطون أحكامه، ويبلِّغون رسالة النبوّة.

وإذا وَرَدَ أنَّ اللهَ يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مئة سنة مَنْ يجدِّد لها أمر دينها، أي: ينقّيه مما علق به من أوضار البِدَعِ والمحدَثات، حتّى يردّه إلى أهله كما نزل به الوحي وبيَّنَه الرسول؛ كذلكَ يحيي الله بالرجلِ الواحد بلداً خمل فيه العلم والأدب، ورُبَّ رجلٍ فَذٍّ يكون على يده نهضةُ أجيال بل نهضة أمة.

ويسرُّني أن أُقدِّمَ بين يدي القرّاء الأكارم سيرةَ عَلَمٍ من أعلام العرب والمسلمين في العصر الحديث، ممَّن كان لهم تأثير كبير في مسيرة العلم والتعليم والتأليف في إفريقية (تونس)؛ طيلة سبعين عاماً من القرن الرابع عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي؛ إنَّه الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله وبرَّد مضجعه.

ولا بُدَّ لي، وأنا أُحَبِّر هذه السُّطور، أنْ أُقَدِّم كلماتٍ، هي بمثابة ممهِّدات لسيرة هذا الإمام الجليل.

لقد برع علماءُ المغرب الإسلاميّ في تدوين علم أهلِ المشرق، إذ تجد في الكثرة الكاثرة من كتبهم أدب أهل المشرق وأخبارهم، و(العقد

الفريد) لابن عبد ربّه شاهد من الشواهد على ذلك؛ ولم يكتفوا بذلك، بل نافسوا أهل المشرق في التأريخ لأنسابهم ومِلَلِهم ونِحَلِهم، ودونك كتابَي ابن حزم الأندلسيّ: (جمهرة أنساب العرب)، و(الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل).

وكان نَهَمُ العلم عندهم أوسع من الجغرافية؛ فصنَّفوا البرامج والمشيخات والأثبات؛ رَوَوْا بها ما حبَّرَه العلماء في شرقي بلاد الإسلام من مدوَّناتٍ وكتب، ودونك في ذلك (فهرسة ابن خَيْر الإشبيليّ).

وأرى أنَّ أهل المشرق، لم يدرسوا تراث أهل المغرب والأندلس مثلما درس أهل المغرب والأندلس تراثَ المشرقيين. فما زال كثير من كتبهم وأعلامهم محجوبةً عنهم، ولا سيّما عند المتأخّرين منهم، فقد ضَعُفَ التواصل الحضاري بينهما، وانقسمت الدولة الواحدة إلى دويلات وإمارات وسلطنات، ولم نعدْ نرى رجلاً نشأ في طُوس (مدينة مشهد الإيرانية الآن) يؤلّف كتاباً أسماه (تهافت الفلاسفة)، يردّ عليه رجلٌ من أقصى الأندلس من قرطبة بكتابه (تهافت التهافت)، إنَّ التبادل الثقافي والحضاري بين مشرق البلاد الإسلامية ومغربها المتمثّل في رحلة العلماء وانتقال الكتاب، أصبحت شبه معدومة، فلا غرو بعد ذلك أن ترى هذا الانقطاع.

إنَّ هذا الأمرَ كان دافعاً قوياً للكتابة عن عَلَمٍ عظيم الشأن في العصر الحاضر؛ هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الأعظم وفروعه، وشيخ الإسلام المالكي بتونس.

إنَّ هذا الكتابَ رسالةُ وفاءٍ يُقَدِّمُها منتسبٌ واحد من أهل المشرق من بلاد الشام إلى تونس بلدِ الزيتونة، اعترافاً بفضلها وشكراً لصنيعها، مترجِماً فيها أشهر عَلَمٍ ظهَرَ في تونُس، وعَرَفه العالَم الإسلاميّ؛ فهو

الإمام في: التفسير، والحديث، والفقـه، والأصول، والعربيّـة بفنونها، وهو المربّي والمصلح والمفكّر.

وإنّي لأحسبُ أنَّ هذا الرجل لم يُعطَ حقَّه من المنزلة في المشرق، لكنَّ آثاره التي خلَّدتْه عرَّفتنا بعالِمٍ باهَتِ الزيتونة به العالَمَ الإسلاميَّ أجمع، وإنَّ حدسي راسخ أنَّ قادمات الأيام سَتُقَدِّم لنا أنَّ هذا الرجل الذي خمل ذكره في المشرق مرحلةً من الزمن؛ بدأ يشعُّ نورُه بما يُطبع له من كتب في بلاد الشام؛ إذ رأينا أنَّ أُمَّات كتبه بدأت تُنشرُ في حلى قشيبة يتداولها أهل العلم والثقافة، ويتدارسونها[1].

إنَّ التونسـيين يفخرون بجامع الزيتونـة كفخر المصريين بجامع الأزهر؛ وذلك أنهم كانوا يُباهون به، ويُقَدِّمون خِرِّيجَه؛ فالزيتونيّ هو الإمـام والخطيب والكاتب والمفتي في البـلاد التونسـيّة وبعض البلاد الجزائريّة، ومِنْ مباهاة الزيتونة أنّها خرَّجت مَنْ أصبح شيخاً للأزهر هو الشيخ الإمام محمد الخضر حسين، صديق الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، والرجل الأثير على قلبه[2].

ها هو ذا ابنُ عاشورٍ يمدّ يدَه إلى مشرق البلاد الإسلاميّة قبل أن يمدّوا إليه أيديهم؛ فلقد أَحكم الشيخ صلته بمشرق البلاد ومغربها؛ فاتَّصلَ مع مؤسَّسـات وأعيان بـلاد الشام ومصر؛ فكان يكتب بحوثه في (مجلـة المجمع العلمي العربي بدمشق)، و(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ومجلاّت أخرى فيها، وإيثاره طبع النسخة العزيزة إلى قلبه من (ديوان بشار بن برد) في مصر.

---

(١) انظر (مصادر البحث) في آخر هذا الكتاب، ففيها كتبه المطبوعة في بلاد الشام.
(٢) انظر فصلاً عن استحكام الصِّلة بين الرّجلين في هذا الكتاب في فقرة (محمد الخضر حسين وابن عاشور)، ص٦٥.

كما حَلَّق الإمام واشتهر بتفسيره للقرآن العظيم المسمّى (التحرير والتنوير)، وأبدع في الأصول بكتابه (مقاصد الشريعة الإسلاميّة)، وأما في الأدب ففي شرحه (ديوان بشار بن برد)، وكذلك في إصلاح التعليم الإسلامي في كتابه (أليس الصبح بقريب) الذي صاغ فيه نظريته في منهج التعليم وسبل إصلاحه، وتصحيح مسار العلوم.

إنَّ هذه الأعمدة الأربعة: التفسير، والأصول، والأدب، وإصلاح التعليم شكَّلَتْ محورَ حياة الشيخ العلميّة والعمليّة.

ولو لم يكن لهذا الرجل من الفضل سوى أنَّه أوّل مَنْ فسَّرَ القرآن كاملاً بإفريقية منذ الفتح الإسلامي للقيروان حتى العصر الحاضر لكفاه فخراً وشرفاً[1].

ولا يظنّ واهم أنَّ هذه الكرَّاسات تفي بعضاً من حقّ محمد الطاهر ابن عاشور؛ فمشاركاته العلميّة والإصلاحيّة أوسع من أن يضمّها هذا الكتاب؛ فقد قُدِّمت أطروحات جامعيّة بوصفه مفسِّراً، وأُصوليّاً، وفي منهجه العَقَديّ[2]، وكتب في سيرته الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة[3]، والدكتور بلقاسم الغالي، وكثير من الباحثين التونسيين ضمن كتبهم بمنظور العارف الخبير، أفادوا فيه القارئ والباحث بتقديمهم صورة ناصعة عن عَلَم إفريقية في العصر الحديث.

وقدَّم الأستاذ محمد الطاهر الميساوي تمهيداتٍ موفَّقةً لكتابَيْه

---

(١) انظر فقرة (أوَّلياته) من هذا الكتاب، ص٧٥.

(٢) قُدّمت رسالة جامعية في هذا الموضوع في إحدى الجامعات السعودية.

(٣) وقد صدر مؤخراً عن دار القلم دراسة موسَّعة عن الإمام ابن عاشور مع تحقيق كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)، بقلم فضيلة الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة حفظه الله (ن).

(مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)[1].

إنَّ هذا الكتاب هو رسالةٌ مشرقيّة في التعريفِ بعَلَمٍ كبيرٍ من أعلام بلاد المغرب الإسلامي؛ ليست بديلاً عمّا كُتِبَ، أو جامعاً لِمَا أُلِّفَ، بل إنَّ هذا الكتيب أفاد مما سطّره السابقون له، مع عزوِ كلِّ قولٍ إلى قائله، ومضيفاً إليه ما قدَّمه مجمع اللغة العربية بدمشق من وثائق مما هو بحوزته في ملفّه الشخصيّ، يوم كان عضواً مراسلاً فيه.

إنَّ القارئ لهذا الكتاب سيلمس قلّةً في التأريخ لفكر الشيخ ابن عاشور وتدوينه؛ ذلك أنَّ ما كُتِبَ عنه من دراسات تخصصيّة تغني عن الإعادة، وما بَثَّه الشيخُ في كتبه تقصر عنه هذه الورقات في الإحاطة، فحاولتُ قدر الاستطاعة أن يطَّلع القارئ على ذلك من خلال التعريف بأهمّ كتبه، فأسهبتُ في التعريف بها.

وملحوظةٌ أُخرى أودُّ الإشارةَ إليها، وهي أنَّ بعضَ القرّاء قد يرى في تتبّعي شيوخ ابن عاشور، وذكر بعض تلاميذه، والترجمة لهم، شيئاً من فضول الكتابة، وهم في الحقيقة غافلون عن المقصود؛ ذلك أنَّ بيئة المترجَمِ التي لَقَّنَتْهُ أعزَّ ما يملك، وهو العلم، ونِتَاج العَلَمِ في التعليم الذي يكون رديفاً لنتاجه في التأليف، هما تعريفٌ حيٌّ ببيئة العَلَمِ: ابنِ عاشور، والفضاء العِلْمِيّ الذي عاش فيه المترجَم.

إنَّ هذه الدراسة تُقدِّم لأهل المشرق تعريفاً بعَلَمٍ تونسيٍّ لم يعتنِ بعلومِه ونتاجِه أهلُ العلم عندهم، وأحسبُ أنَّ تأخّر تاريخ نشر كتبه أحد

---

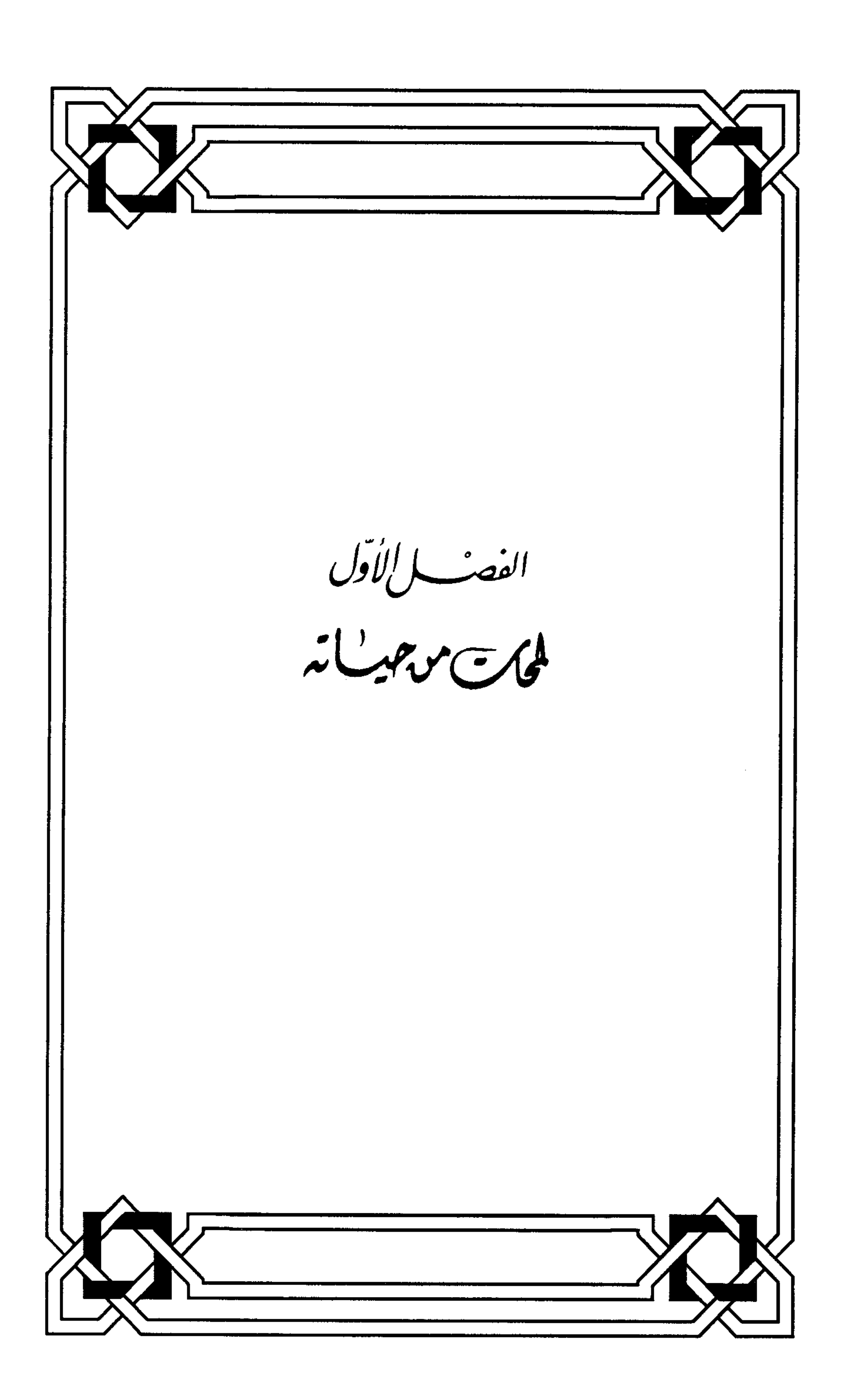
(١) نشرتِ الكتابين دارُ النفائس بعمّان ـ الأردن، ووصْفُهُمَا الوِراقيّ في مصادر البحث في آخر الكتاب.

أسباب ذلك، والبُعد الجغرافيّ، حيث لم يكن من عـادة أهـل المشـرق تحمّل العلم في الزيتونة أو القرويين، بل كان يستأثر بهم الأزهر لقربه ووفرة العلماء فيه.

ختاماً، أرجو من الله القَبـول، وأن يجعلَ عملنـا خالصاً لوجهـه الكريم، إنَّه نِعْمَ المولى ونِعمَ النصير.

دمشق الشام ١٥ صفر الخير ١٤٢٥هـ
الموافق ٥ نيسان ٢٠٠٤م

إياد خالد الطباع



الفصل الأول

لمحات من حياته



مدخل تاريخيّ

● الفتح الإسلامي لتونس:

بدأت أولى عمليات الفتح الإسلاميّ لإفريقية (تونس) في عهد الخليفة عثمان بن عفّان بقيادة عبد الله بن أبي سَرْح سنة (٢٥هـ = ٦٤٥م)، ثمَّ تلتها حملةُ عقبة بن نافع الفهري سنة (٥٠هـ = ٦٧٠م) الذي حاول توطيد الفتح ببناء مدينة القيروان قاعدة ثابتة لجيشه، ثم تلتها حملة زهير بن قيس البلوي سنة (٦٩هـ = ٦٨٨م)، ولم يستقرّ للإسلام سلطان بإفريقية إلا بحملة حسّان بن النعمان الثانية سنة (٨٤هـ = ٧٠٣م)، فقامت بها ولاية مستقلّة عن مصر جعلت قاعدتها مدينة القيروان، التي كان عقبة بن نافع قد أسّسها سنة (٥٠هـ)، وأتمَّ الوالي موسى بن نصير فتح بقية بلاد المغرب سنة (٨٨هـ = ٧٠٦م)، ووطّد دعائم الإسلام فيها، ثمَّ انطلق لفتح الأندلس سنة (٩٢هـ = ٧١٠م)[1].

● العلم وجامع الزيتونة:

دخلت العلوم الإسلاميّة والعربيّة تونس منذ ابتداء فتحها في عهد معاوية بن أبي سفيان؛ فقد توارد عليها أيام الفتح الإسلامي جماعات من الصحابة والتابعين والمتفقّهين في الدّين، ومِمَّن عنوا بالأدب والشعر؛ فدخلها عبد الله بن الزُّبير، وعقبة بن نافع، ومن الشعراء: أبو الخطّار الحسام بن ضرار، والحسن بن حرب الكنديّ.

---

(١) الموسوعة العربية العالمية: ٧/ ٣٥٦؛ الموسوعة العربية: ٧/ ٢٠٠.

وينبّئنا التاريخ أنَّ الفقه كان في عهد الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز يُتلقّى في تونس على طريقة الدراسة والتعليم، فقد جاء هذا الخليفة بعشرة من أعيان التابعين، وبعث بهم إلى إفريقية ليعلّموا البربر واجبات الدّين وأحكامه، ومن بين هؤلاء الأعيان: عبد الله بن رافع التنوخيّ، وهو أوّل مَن وليَ القضاء بالقيروان، إذ كانت يومئذٍ مقرّ الإمارة، فأصبح جامعها الذي أسَّسه الفاتحون الأوَّلون معهداً للعلوم الإسلاميّة، ومصدراً للفتاوى والأحكام.

وقد ظهر في التاريخ علماء أعلام نشروا العلم في إفريقية؛ وإفريقية تُطلق على المنطقة الواقعة بين برقة وطنجة[١]، وقد تُطلق على القيروان وما حولها عند الجغرافيين الإسلاميين؛ وكان لجامع الزيتونة الفضل الأعظم في ذلك؛ إذ إن في قارة إفريقية ثلاثة معاهد إسلاميّة: الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس.

أمّا الأزهر؛ فله الشهرة شرقاً وغرباً؛ لأنَّ دائرة التعليم فيه أوسع، وأمّا المعهدان الآخران؛ فقد أفادا في البلاد التونسية والجزائرية والمُرّاكشيّة صِنْفَ البربر؛ ذلك أنّه بعد الفتح الإسلاميّ هاجر إليها خَلْقٌ كثير من العرب الخُلّص، فانتشرت هنالك العربيّة، وأصبح أقوامها مستعربين إلا قبائل متفرّقة.

ولمّا استولى أصحاب المهدي بن تومرت على القطر التونسي؛ اتّخذوا مدينة تونس دار الإمارة، وبقيت العاصمة إلى هذا اليوم، وبذلك

---

(١) انظر في حدّ المغرب وإفريقيّة: (الأدلّة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشمّاع، تحقيق: الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص٣١.

سَمَّوها **الحاضرة**، فأصبحت بذلك موردَ العلوم ومحطَّ رجال العلم، فأخذ جامع الزيتونة يُغالِبُ جامع القيروان، وأخذ اسمه يتردّد أكثر مما كان يتردّد على الألسنة والآذان.

ابتدأ بناءَ جامع الزيتونة الأميرُ حسَّان بن النعمان الغسَّاني الداخل لإفريقية سنة (٧٩هـ)، ثم جاء الأمير عبد الله بن الحبحاب الداخل سنة (١١٤هـ)، وأتمَّ بناءه سنة (١٤١هـ)، ولمّا تولَّى زيادة الله بن الأغلب الإمارة بالقيروان أحدث به أبنيةً فخمة، وصار من أحسن الجوامع القائمة على أساطين من المرمر والرّخام.

وفي عهد أمير تونس المشير أحمد باشا (١٢٥٣ ـ ١٢٧١هـ) أحد أفراد الأسرة الحسينية، رأى أن تكون الدولة قائمةً بنفسها، فكان من بين التدابير العديدة التي اتّخذها: إبطال الرقّ، وتشجيع التعليم، وإحلال العربيّة محلّ التركية[1]، وتنظيم التعليم بجامع الزيتونة، وأصدر في ذلك مرسوماً سنة (١٢٥٨هـ)، اقتضى فيه أن يُنتخب للتدريس بجامع الزيتونة خمسة عشر عالماً من المالكيّة، ومثلهم من الحنفيّة، على أن يُقرئ المدرّس في كلّ يوم ما عدا يومي الخميس والجمعة درسَيْن من أيّ فنّ أراد، وغير ذلك من التراتيب. ثمَّ توالت عدد من التنظيمات في مراحل تاريخيّة تالية.

كان يتولَّى إدارة المعهد الزيتونيّ أربعة من الشيوخ، وهم رئيس الإفتاء الحنفيّ، ورئيس الإفتاء المالكيّ، والقاضي الحنفيّ، والقاضي المالكيّ، ويُسمَّى هؤلاء: (المشايخ النُّظَّار)، ويرأس المجلس شيخ الإسلام الحنفيّ، واكتسب الحنفية التقدّم على المالكيّة في المواطن الرسمية، حيث إن أمراء الدولة الحسنية القائمة لهذا العهد، يتقلّدون مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

---

(١) الموسوعة العربية، دمشق، رئاسة الجمهورية، مادة (تونس): ٧/ ٢٠٢.

ويُدرَّس في ذلك المعهد: التفسير، والحديث، والسِّيَر، والتوحيد، والقراءات، والمصطلح، والفقه، والأصول، وآداب الشريعة، والنحو، والبيــان، واللغــة، والأدب، والعَــروض، والمنطــق، والتــاريــخ، والجغرافية، والحساب، والهندسة، والهيئة، والميقات، والمساحة.

وتعقد عند انتهاء أيّام الدراسة من كلّ سنة لجان من المدرّسين لاختبار التلاميذ فيما قرؤوه في تلك السنة وهو (امتحان النقل)، وبعد دراسة سبع سنين يجري امتحان لأخذ (شهادة التطويع). وهذه الشهادة منظور إليها كشهادة العالِمِيّة في الأزهر من جهة ما يترتّب عليها من نيل بعض المناصب، والمقرّر لهذا الامتحان مقالة تحرّر ارتجالاً على مرأى المراقبين في باب من أبواب الفقه، ثم إلقاء درس بعدها في الأصول أو الفقه، أو الكلام، أو النحو، أو المنطق، أو البلاغة؛ على حسب ما تقع عليه يد الطالب من أوراق كثيرة تعيّن فيها دروس من هذه العلوم وتوضع في ربعة، ومدّة مطالعة الدرس ستّ ساعات، ثم تُلقى على الطالب في يوم بعد يوم الدرس تسعة أسئلة من تسعة علوم ليجيب عنها حال السؤال، والعلوم التي تطرح منها الأسئلة هي: الفقه، والنحو، والصرف، والمنطق، والبلاغة، والحساب، والهندسة، والجغرافية، والتاريخ.

والمدرّسون في الجامع الأعظم ثلاث طبقات: مدرّسون من الطبقة الأولى، يقرؤون كتب المرتبة العالية ويشتركون مع مدرّسي كتب الطبقة الثانية في إقراء كتب المرتبة المتوسّطة، والمدرّسون من الطبقة الثالثة مقصورون على دراسة المرتبة الثالثة[١].

---

(١) تونس وجامع الزيتونة، ص٧ ـ ٣١؛ وانظر عنوانات كتب تدريس كلّ مرتبة في (الموسوعة العربية العالمية)، مادة: (الزيتونة، جامع). وتوسّع الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه (أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية) في وصف التعليم الزيتوني وسبل إصلاحه، =

وتجري مناظرة ينتقل بها المدرّس من مرتبة إلى أعلى؛ فالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور نال شهادة التطويع سنة (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م)، ونجح في مناظرة الطبقة الثانية سنة (١٣٢٠هـ = ١٩٠٣م)، ثمَّ نجح في مناظرة التدريس للطبقة الأولى سنة (١٣٢٤هـ = ١٩٠٥م)، كما سيأتي مفصَّلاً في فقرة (وظائفه).

قم كرِّم الزيتونة العظمى وقُلْ ... لَيكادُ يُشرقُ في حماكِ (حِراءُ)
نشروا على دنيا العروبةِ علمهم ... وصلاحَهم أعلامُكِ العلماءُ
وعلى المطهَّر مِن حماكِ تفقّه الـ ... حُفَّاظُ والقُرَّاءُ والحُكماءُ
كم (طاهرٍ) أو (فاضلٍ) ملؤوا الدُّنا ... عِلْماً تَقَصَّى خطوَهُ الفُقَهاءُ
فإذا بفيضهم الصُّدورُ حفيلةٌ ... وإذا بنورهم العقولُ وِضاءُ
يا أختَ أزهرِنا الشريف سلمتما ... قدسَيْن تقصر عنكما الغمَّاءُ
تحميكُما وتشدُّ من أزرَيْكُما ... (يسُ) و(الفرقانُ) و(الإسراءُ)
يا حُجَّةَ الإسلامِ إنَّكِ إنْ دَجَتْ ... رِيَبٌ عليه سراجُهُ الوَضَّاءُ
تحمينَ حَوْزَتَهُ كما تحمي الأُلى ... والوا إليها القلعةُ العصماءُ
فإذا امتُحِنْتَ[1] فعزمةٌ سلفيّةٌ ... وإذا هُزِزْتَ فصخرةٌ صَمَّاءُ

وللزيتونة فروع في: سوسة، وصفاقس، والقيروان[2]، ومدنين، والمهدية، وبنزرت[3]. إضافة إلى فروعه في الحاضرة[4]: اليوسفي، والحفصيّ، وجامع حمّودة باشا المرداوي، والجامع الجديد.

= وانظر وصفه في فقرة (مؤلفاته) من هذا الكتاب.

(١) إشارة إلى ما مرَّ على الزيتونة من مِحَن وفتن، حاولت منعه من أداء رسالته. والأبيات للشاعر المصري عزيز أباظة.

(٢) مجلة الزيتونة: ٦/ ٥١٠.

(٣) المصدر السابق: ٦/ ٤٩٥.

(٤) الحاضرة: تُطلق عند التونسيين على تونس العاصمة.

● **عصر ابن عاشور:**

كان عصر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عصر اضطرابات وفتن؛ إذ كانت البلاد التونسية ترزح تحت وطأة الديون الخارجية، وعمَّ فيها العبث والفساد والارتشاء والمكوس، ومع ضعف نفوذ الخلافة العثمانية التي انحلّت إلى دويلات هزيلة، توغّل الأجنبي، وعمَّ الاضطراب الاجتماعيّ، واختلَّ الأمن، وتنازع الأمراء على السلطة، وبدأت أطماع الاستعمار في البلاد التونسية ظاهرة للعيان، منها: التدخّل في الشؤون الداخلية للدولة بدعوى حماية الرعايا الأجانب من اليهود وغيرهم، ومنها: وضع الميزانية التونسية تحت الرقابة الأجنبيّة لضمان حُسن التصرّف.

لذلك لم يكن احتلال فرنسة لتونس عام (١٢٩٨هـ = ١٨٨١م) مفاجأة للمشتغلين بالسياسة الدولية، وقد وجدت فرنسة ذريعة لذلك في المناوشات على الحدود التونسية الجزائرية، فاحتلّ جيشها مدينة الكاف، وتابع سيره نحو العاصمة، كما احتلّت قوّة بحريّة أخرى بنزرت، وحُوصر قصر الباي محمد الصادق بضاحية باردو وأرغمته على توقيع معاهدة باردو (١٢ جمادى الآخرة ١٢٩٨هـ = ١٢ أيار ١٨٨١م)، ثم أجبرت الباي الذي فقد سلطاته الفعلية لصالح المقيم العام الفرنسي (كامبون) على توقيع معاهدة جديدة باسم معاهدة المرسى الكبير (١٣٠٠هـ = ١٨٨٣م)، وفيها تمَّ فرض الحماية على تونس، وبدأت فرنسة تديرها مباشرة، وأبقت على هيكل الدولة والعائلة المالكة بها، لكنها سلبت منها سيادتها الخارجية، ونصَّبتْ لدى الباي وزيراً مفوّضاً ومقيماً عاماً فرنسيّاً للإشراف على تطبيق بنود المعاهدة، وبدأت بذلك حركة المقاومة التونسية للغزو الفرنسي منذ بداية دخول عساكره من الجزائر، فحدثت بين القبائل وجيش الغزو عدّة معارك، بل إنَّ المقاومة ضدّ الاستعمار الفرنسي اتّخذت صفة المقاومة الشعبية، حتى كان الجنود الصغار يفرّون من صفوفه ويلتحقون بالمقاومة الشعبية.

وفي سنة (١٣١٤هـ = ١٨٩٦م) أحدثت فرنسة مجلساً استشارياً بتونس، لكنَّ العنصر التونسي لم يدخله إلا سنة (١٣٤٠هـ = ١٩٢١م) كأقلّية من (١٦) عضواً، يعيّنهم المقيم العام إلى جانب (٥٢) عضواً فرنسياً منتخبين على دورتَيْن، وقد وُسِّعَ هذا المجلس بعد ذلك وسُمِّيَ بالمجلس الكبير سنة (١٣٤٠هـ= ١٩٢٢م)، لكنَّ صلاحياته ظلَّت استشارية.

لم يكن للباي من نفوذ سوى ختم الأوامر التي تتضمَّن تلك القرارات، وتعيين الموظفين التونسيين الذين كانوا يختارونهم بدورهم. أمَّا بخصوص القضاء، فقد وُضعت العدليّة التونسية ـ سواء كانت دينيّة أو مدنيّة ـ تحت إشراف موظَّف سامٍ فرنسيّ هو مدير المصالح القضائية، ورغم أنَّ سلطات الحماية لم تمسّ المحاكم الشرعيّة مباشرةً، إلا أنها هيمنت على المحاكم المدنية، اعتماداً على ما كان للباي من سلطة في تنفيذ القوانين التي يصدرها، والنظر بالتالي في النزاعات التي كانت تنشأ بين رعاياه.

تزعَّم الشيخ محمد السنوسي سنة (١٣٠٢هـ = ١٨٨٥م) حركة أعيان العاصمة، التي كانت أولى بوادر الحركة الوطنية التونسية، تمثَّلت أولى بوادرها في تقديم عريضة إلى علي الباي، تضمَّنت اعتراضات على جملة من قوانين وإجراءات إدارة الحماية، نتج عنها نفي الشيخين محمد السنوسيّ وأحمد الورتاني خارج العاصمة، وعقاب كلّ الموقّعين على العريضة، وقد لقيت هذه الحركة صدى واسعاً في مجلّة (العروة الوثقى) للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، لما كان لهذين الرجلين من علاقات بالنخبة المثقفة التونسية آنذاك، فقد زار الشيخ محمد عبده تونس مرّتين: الأولى امتدّت من ٦ ديسمبر/ كانون الأول (١٨٨٤م) إلى ٢٤ يناير/ كانون الثاني (١٨٨٥م)، والزيارة الثانية كانت من ٩ سبتمبر أيلول (١٩٠٣م) إلى ٢٤ منه.

وكان لما تنشره مجلة (العروة الوثقى) ومجلة (المنار) لصاحبها رشيد رضا تأثير كبير بين تلك النخبة والجيل الذي تلاها من التونسيين،

فقد تأثّر عددٌ من كبار علماء الزيتونة ومثقّفيها بهذه الآراء وأسَّسُوا جمعية العروة الوثقى، وكان منهم محمد بيرم الخامس، والشيخ سالم بوحاجب، والشيخ أحمد الورتاني، والشيخ محمد الطاهر جعفر، والشيخ محمد السنوسي[1]، وقد اصطدمت أفكارهم بمقاومة المحافظين من الزيتونيين، من حيث ضرورة إيقاظ التونسيين من سُباتهم، وتعريفهم بالأفكار الحديثة، وهو ما نادى به خير الدين التونسي في كتابه (أقوم المسالك) الأمر الذي دفعهم إلى تأسيس الجمعية الخلدونية سنة (١٣١٤هـ = ١٨٩٦م)، وتلا ذلك تأسيس جميعة قدماء تلامذة المدرسة الصادقية (١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م).

قامت هاتان المؤسّستان بدور بارز في تنمية الشعور الوطني ونشر مبادئ الجامعة الإسلامية بين روّادها، وتوالى تأسيس الحركات الوطنية، حتى نالت تونس استقلالها بموجب إعلان (٧/ ٨/ ١٣٧٥هـ = ٢٠/ ٣/ ١٩٥٦م)[2].

كان للفكر والعلم الذي نشرته الزيتونة، وحمله عنها طُلاَّبُها وعلماؤُها، وتوزّعهم في المناصب الإدارية والحكومية، والحركات الوطنية؛ أثرٌ كبير في تقديم الوجه الثقافيّ الحضاريّ لتونس، هذه القلعة التي أنجبت العلماء والمناضلين، وكان لها الفضل الأكبر في استقلال البلاد[3]، وسقطت على جنباتها محاولات تاريخيّة استعماريّة لِمحوِهِ ودَرْسِه:

---

(١) الغالي، ص٢٤، وأسماؤهم ثمة.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، (تاريخ الجمهورية التونسية = تونس، تاريخ): ٧/ ٣٥٦، ط٢.

(٣) مقالات الإمام، ص٢٥، والأبيات التالية للأستاذ الفاضل المحامي علي الرضا الحسيني حفظه الله ابن العلاّمة الشيخ زين العابدين التونسي شقيق العلاّمة الإمام محمد الخضر حسين.

وقفتُ عند منارِ الدِّينِ أسألُهُ يا منبعَ النُّورِ أينَ العلمُ والأدبُ؟
أين الشيوخُ بُناةُ المجدِ ما صنعوا أينَ ابنُ عاشور أين الخضرُ الشُّهُبُ؟
ما باله أظلم المصباح من وَهَنٍ ودَمعةٌ من ذُرى المحرابِ تنسكِبُ
يا وَيْحَ نفسي على الإسلامِ ينهشُهُ نابٌ ويَعبثُ في الزَّيتونةِ العَطَبُ
لن يهدِمَ الشرُّ أبراجاً مشيّدةً على الفضيلةِ أو تمضي بها النُّوَبُ
وطفتُ في قلعةِ الإيمانِ أُخبرُها أنَّ البقاءَ لها ما عاشتِ العربُ

* * *

نسبه وأسرته

هو محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الشاذلي بن العالم الصالح عبد القادر بن العالم الزاهد الوليّ الصالح الشيخ مَحمد (بفتح الميم) ابن عاشور، وهو من أشراف الأندلس، قدم الأخير إلى تونس سنة (١٠٦٠هـ = ١٦٥٠م) واستقرَّ بها عند عودته من الحج، وله من العمر آنذاك ثلاثون سنة، وُلد بمدينة سلا من المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فراراً من القهر والتنصير، والمتوفى سنة (١١١٠هـ = ١٦٩٨م).

كان عالماً عاملاً صالحاً ناسكاً مقبلاً على شأنه لا يقيم وزناً لهذه الدنيا الفانية، وكان لا يعيش إلا من كدِّ يده، رافضاً كلّ ما يُقدَّم إليه من جزيل العطايا من طرف الملوك وأهل البلاط والناس كافّة.

قضى حياته كلّها محترماً مبجّلاً معظّماً، وتزوّج بتونس، وسكن بحيّ حوانت عاشور، وولد له أولاد، نذكر منهم: أحمد، وإدريس، وعبد القادر، وهو جدّ مترجمنا، ودُفن بتربته الكائنة بباب المنارة المعروفة بسيدي علي الزواوي الوليّ الصالح تلميذه، الذي كان ملازماً له، والذي توفّي قبله، ولذلك عُرفت الزاوية بسيدي علي الزواوي. وكلّ آل ابن عاشور مدفونون بها إلى أن صدر تحجير الدفن داخل المدينة[١].

---

(١) مقدّمة المرحوم الأستاذ عبد الملك بن محمد الطاهر ابن عاشور لكتاب (ومضات فكر) للفاضل ابن عاشور، ص٢٢.

وقد بـرز في هذه العائلة جَدُّ المترجَم محمد الطاهر ابن عاشـور، المولود سنة (١٢١٠هـ)، وقد تقلَّد مناصب هامّة في القضاء، والإفتاء، والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيريّة، والنّظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى، إضافة إلى تولّيه نقابة الأشراف، وله مؤلَّفات مطبوعة؛ كحاشيته على قطر الندى لابن هشام، وشرحه لبردة البوصيري، ومصنّفـات مخطوطـة؛ كحاشيته على المحلّي على جمـع الجـوامع، وحاشيته على ابن سعيد على الأشمونيّ، وغيـر ذلـك. امتاز بتحريـر المسائل وتدقيقها، ومال إلى الاستقلال بالرأي؛ قال فيه مؤرِّخ الديار التونسيّة ابنُ أبي الضياف: «جرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم ومعارك أنظارهم، جرى في ذلك مجرى العلامة إسماعيل التميمي[1] في مشاركة الأصول بالفروع، فلا يذكر فقهاً إلا مرجَّحاً بدليل، ويؤثر عنه القول: لا يعجبني أن أقول: هكذا قال الفقهاء، وما يمنعني أن أعلم الدليل كما علموه»[2].

وبرز من هذه العائلة النبيلة والد المترجَم محمد ابن عاشور؛ الذي تولَّى رئاسة مجلس دائرة جمعية الأوقاف، فأحسن إدارتها.

وقد استحكمت الصِّلةُ بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (الجدّ) وتلميذه العالِم الوزير محمد العزيز بُوعَتُّور (١٢٤٠ ـ ١٣٢٥هـ) نتج عنها زواج مبارك بين وَلَد محمد الطاهر ابن عاشور: الشـيخ محمد، وابنـة الشـيخ محمد العزيـز بوعتُّـور: فاطمة، حيث أنجـب هذان الزوجـان

---

(١) الشيخ إسماعيل التميمي (١١٦٥هـ = ١٧٥٢م ـ ١٢٤٨هـ = ١٨٣٣م)، من روّاد الإصلاح بتونس.

(٢) إتحاف أهل الزمان، لابن أبي الضياف: ٨/ ١٦٦.

الفاضلان مترجَمَنا العلاَّمة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[1].

* * *

(١) بلقاسم، ص٣٥، بلخوجة، ص٧٥، (المجلة الزيتونية): مج٦/ع٨، كلمة الشيخ محمد الصالح المهيدي في التعريف بالعائلة العاشورية، ومقدّمة الأستاذ علي الرضا الحسيني في (مقالات الإمام)، ص٨؛ وانظر ترجمةً له في (مجلة الهداية الإسلامية): ٢/ ٢٩، بقلم محمد الخضر حسين؛ وعند محفوظ في (تراجم المؤلفين التونسيين).

مولده ونشأته وزواجه وأبناؤه

المَوْلد:

وُلِـدَ المترجَم في ضاحية (المَرْسـى) الجميلـة قرب العاصمة التونسية، على بُعْد عشرين كيلومتراً منها. في قصر جدّه للأمّ محمد العزيز بوعتُّور، وهي ضاحيةٌ ما تزال حتى الآن تحتلّ موقعاً رائعاً على البحر الأبيض المتوسط، وسُمِّيت بذلك لرسوّ السفن فيها، ومنزل آل عاشور فيها حتى الآن[1]، وسُمِّي الشارع الذي فيه القصر الآن باسم الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور.

وما تزال مكتبة المترجَم، وبعضٌ من ذريّة المترجَم في هذا القصر بالمرسى.

النشأة:

نشأ الشيخ محمد الطاهر في رحاب العلم والجاه، فسلك أوَّل ما سلك تعلّم القرآن الكريم، في سنّ السادسة، فقرأه وحفظه على المقرئ الشيخ محمد الخياري بمسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس.

ثم حفظ مجموعةً من المتون العلميّة؛ كمتن الآجُروميّة في النَّحو وابن عاشر في الفقه المالكي، وغيرها.

---

(١) الغالي، ص٣٥.

وتلقَّى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد العربيّة على الشيخ أحمد بن بدر الكافي اعتماداً على شرح خالد الأزهريّ على الآجُرّوميّة[1].

زوجته وأبناؤه:

تزوَّج محمد الطاهر ابن عاشور السيّدة الشريفة فاطمة بنت نقيب الأشراف بتونس السيّد محمد محسن، وعائلة محسن أسرة كريمة، لها صيت ذائع في محافل الإمامة والتدريس والتوثيق؛ ناهيك بأنَّ ولاية إمامة جامع الزيتونة تعاقبت فيهم منذ سنة (١٢٢٧هـ = ١٨١٢م)، ولم تشذ عنها خلال هذا الزمن الطويل إلا مرّات نادرة، لم يبلغ عددها أصابع اليد الواحدة[2].

أنجبت له السيدة فاطمة أربعة بنين هم: المرتضى، وقد تُوفّي طفلاً في السابعة، ومحمد الفاضل، وعبد الملك، وزين العابدين، رحمهم الله جميعاً. وبنتين هما السيّدتان: صفية، وأمّ هانئ؛ وهما أسنُّ من الذكور[3].

وقد برز من أولاده بالعلم السيّد محمّد الفاضل (١٩٠٩م ـ ١٩٧٠م) الذي تُوفّي قبل والده. وقد تولّى التدريس بجامع الزيتونة والقضاء، ثم عُيِّن عميداً بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، ثم نُصِّبَ مفتياً للجمهورية التونسية، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة، ومن كتبه: (الحركة الأدبية والفكرية في تونس)، (التفسير ورجاله)، (تراجم الأعلام)، (ومضات فكر)، وكَتَبَ أبحاثاً في عدد من الدوريات العربية،

---

(١) الغالي، ص٣٧؛ بلخوجة، ص٧٥ وما بعدها.
(٢) مقدّمة (ومضات فكر)، ص٢٤.
(٣) المصدر السابق، ص٢٢؛ بلخوجة، ص٨٧.

مثل مجلّتَي مجمع اللغة العربية في القاهـرة، ومجمع اللغـة العربيـة بدمشق.

وأما الأستاذ عبد الملك رحمه الله، فهو موظَّف سام، من إنتاجه بحوث وتحقيقات علميّة نُشرت له بالمجلاَّت التونسيّة كالهداية وغيرها، ومؤلَّفات علميّة تجمع ما تناثر في الصحف والمجلاّت من آثار والده.

وقد التقيتُ بالأستاذ عبد الملك مرَّتين في تونس، كانت الأخيرة قبل وفاته بأشهر، وقد استقبلني رغم مرضه، وكان له الفضل في اطِّلاعي على مكتبة والده شيخ الجامع الأعظم، والتعريف بها؛ رحمه الله وأجزل مثوبته.

وأمَّا ابنُه المناضل السياسيّ زين العابدين ابن عاشور؛ فقد توفَّاه الله في سنة ١٩٦٥م[1].

وللشيخ محمد الطاهر أحفادٌ بررة أساتذة جامعيّون، التقيتُ بهم؛ منهم: الأستاذ الدكتور المؤرّخ محمد العزيز بن عبد الملك بن محمد الطاهر[2]، والأستاذ الدكتور الحقوقيّ عِياض بن محمد الفاضل بن محمد الطاهر، الذي تولَّى مناصبَ هامّة منها رئاسته للجامعة التونسية.

* * *

---

(١) مقالات الإمام، ص١٣.

(٢) من كتبه (جامع الزيتونة)، وشارك في (دائرة المعارف التونسية).

نشأته العلمية وشيوخه

انتسابه إلى الجامع الأعظم: جامع الزيتونة:

التحق الشابُّ محمد الطاهر ابن عاشور بجامع الزيتونة سنة (١٣١٠هـ = ١٨٩٣م)، ونهل من العلوم والمعارف المقدَّمة في الجامع ما استطاع، فقرأ علوم القرآن، والقراءات، والحديث، والفقه المالكي وأصوله، والفرائض، والسيرة، والتاريخ، والنحو، واللغة، والأدب، والبلاغة، وعلم الكلام والمنطق.

وإضافة إلى هذا التكوين الهامّ، فقد تعلَّم الفرنسيّة بمساعدة أستاذه الخاص أحمد بن ونّاس المحمودي، وقد كان جدّه به حَفِيّاً، إذ جمع آثاراً في عيون الأدب ونصوص الحكم وبدائع النظم والنثر، وأشياء ما زالت تحتفظ بها المكتبة العاشورية[١].

وفي ٤ ربيع الأول (١٣١٧هـ) = ١١ تموز/ يوليو (١٨٩٩م)، حصل على **شهادة التطويع من الجامع الأعظم**، وشهادة التطويع تعني انتهاء التعليم الثانوي، تُعطى بعد امتحانٍ لمن زاول الدراسة بالجامع المدَّة المحدّدة وشهد له الشيوخ بذلك، وكان أوَّل من شارك في هذا الامتحان سنة (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وهي شهادةٌ للخرّيج بأنَّه ذو ذهن قويّ، وعقل مدرِكٍ للحقائق، قادر على إيصالها للطلبة، تخوّله التصدّي للإقراء.

ونصُّ الشَّهادة التي تمَّ منحها للمترجَم:

«الحمدُ لله فاتح رموز العرفان، ومانح كنوز الفضل والإحسان،

---

(١) بلخوجة، ص٧٥، ٩٣.

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الفضلاء الأعيان.
أما بعد، فإنَّ الفقيه النبيه الألمعيّ المشارك سي[1] محمد الطاهر ابن عاشور صاحب هذا الدفتر[2] ممَّن تقدَّم لمجلس الامتحان السنوي الواقع بسراية المملكة عام التاريخ. وقضى بتقدّمه ما يلزم من واجبات فصول القرار الوزيري المؤرّخ في ٦ صفر و١٤ جوان الفارطين الصادر في إجراء امتحان تلامذة جامع الزيتونة الأعظم ـ أدام الله عمرانه ـ الراغبين في الحصول على رتبة التطويع. ومن تلك الواجبات إقراؤه لدرس من مختصر السَّعد في المعاني والبيان من قول المصنّف: «والتخصيص لازم للتقديم غالباً. . .» إلى قوله: «ويفيد في الجمع» وأنتج النظر أن يكون هذا المتقدم مستحقّاً لرتبة التطويع، فأُذِنَ له في ذلك لتتوفَّر رغبته العلميّة، ويجتهد في تحصيل الكمالات، والله وليُّ الإعانة لا ربَّ غيره سبحانه.

بتاريخ يوم الثلاثاء في ٤ ربيع الأنور و١١ جويليه (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م).

محمد بيرم، أحمد الشريف، إسماعيل الصفائحي، محمد الطيّب النيفر»[3].

بعد حصوله على شهادة التطويع عاد إلى حضور دروس الشيخ محمد النخلي؛ فقرأ عليه الوسطى في العقيدة، وشرح المحلِّي على جمع الجوامع في أصول الفقه، والمطوّل في البلاغة، والأشمونيّ في النحو، وكان ذلك سنة (١٣١٨هـ) بتقييد الشيخ.

---

(١) (سي): اختصار لكلمة (سيد) تُستعمل في بلاد المغرب.
(٢) لكل طالب زيتونيّ دفتر يسجّل شيخه فيه حضوره لدرسه يسمّى (دفتر الشهادات).
(٣) بلخوجة، ص٧٨؛ انظر تراجمهم في فقرة (شيوخه).

كما حضر مع صديقه الشيخ محمد الخضر حسين درس الأستاذ عمر ابن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب المواقف، ودرس الشيخ سالم بوحاجب لكتابي البخاري والموطّأ بشرحيهما.

وقد جاء في (دفتر شهادات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور)[1]: «قرأتُ صحيحَ الإمام البخاري، رحمه الله ورضي عنه، على شيخنا وشيخ مشايخنا العلامة النحرير سيدي سالم بوحاجب المفتي المالكي.. بشرح شهاب الدين القسطلانيّ رحمه الله، قراءة تحقيق بجامع الزيتونة، وقرأتُ عليه من الموطّأ أجزاء بشرح الشيخ الزرقانيّ قراءة تحقيق».

شيوخه:

تحمّل محمد الطاهر ابن عاشور العلم عن أعيان علماء بلده تونس، وشيوخ الزَّيْتونة، وهذا ثَبَتٌ بما تحصَّل لديّ منهم على حروف المعجم:

١ ـ **الشيخ أحمد بن بدر الكافي**؛ تلقَّى عليه المبادئ الأولى في قواعد العربية، اعتماداً على شرح خالد الأزهريّ[2].

٢ ـ **الشيخ أحمد جمال الدّين**؛ قرأ عليه (القَطْر) في النحو، و(الدردير) في الفقه المالكي[3].

٣ ـ **الشيخ سالم بوحاجب** (١٢٤٤هـ = ١٨٢٨م ـ ١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م)؛ فقيه محقّق؛ ولغويّ أديب شاعر، له اليد الطولى في المعقولات، ملمّ بطرف من التاريخ والجغرافية والرياضيات؛ وُلِدَ هذا

---

(١) ص٤١، نقلاً عن بلخوجة، ص٧٩.

(٢) الغالي، ص٣٧.

(٣) بلخوجة، ص٧٧؛ وانظر تراجم المؤلفين: ٢/ ٥٠.

العالم الفاضل في قرية بنبلة على الساحل التونسي من قرى المنستير، وتعلَّم بالزيتونة، وتتلمذ للشيخ محمود قبادو[1]، واتّصل بكبار علماء عصره، وأبرز رجال السياسة كشيخ الإسلام بيرم الرابع[2]، والجنرال خير الدين[3]، وقد أعانه على تحرير كتابه (أقوم المسالك). انتخب عضواً في المجلس الأكبر سنة (١٨٦١م) مع خير الدين. كان في دروسه بجامع

---

(١) محمود بن محمد قبادو (١٢٣٠ ـ ١٢٨٨هـ = ١٨١٥ ـ ١٨٧١م) أديب، شاعر، فقيه، عالم بالرياضيات، شيخ شيوخ ابن عاشور، مثل الشيخ سالم بوحاجب، تولَّى القضاء سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠م، ثم خطّة الإفتاء ١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م. كان يُرجع إليه في عويص المسائل الحسابية، في الجبر والمقابلة، وفي حلّ أشكال إقليدس. وكان لا يُجارى في التأريخ الشعري (بحساب الجُمَل) وله في ذلك قصيدة داليّة، هنّأ بها السلطان عبد المجيد بانتصاره على الروس، يُستخرج تاريخ عام الانتصار من جميع أبياتها، من مهملها ومعجمها، وصدورها وأعجازها، بحيث تتحصَّل منها الآلاف حتى جعل لها جدولاً في طريقة استخراجها. انظر: الزركلي: ٧/ ١٨٥؛ ومحفوظ: ٤/ ٤١.

(٢) بيرم الرابع (١٢٢٠ ـ ١٢٧٨هـ = ١٨٠٥ ـ ١٨٦١م) محمد بيرم الرابع بن محمد بيرم الثالث، فقيه، أصوليّ، حنفيّ، له عناية بالحديث، وهو أول مَن لُقِّب بشيخ الإسلام في تونس، إذ لم يكن موجوداً بها حتى فخّم الأمير أحمد باشا باي الألقاب محاكياً السلطنة العثمانية، وتولّى أيضاً رئاسة الفتوى الحنفية في (١٢٥٩هـ = ١٨٣٢م)، ونقابة الأشراف خَلَفاً لوالده؛ له (التراجم المهمة للخطباء والأئمة)، وطُبع له (الجواهر السَّنيّة في شعراء الديار التونسيّة) وغير ذلك. انظر: الزركلي: ٢/ ٧٤؛ ومحفوظ: ١/ ١٣٧.

(٣) خير الدين التونسي (١٢٣٨ ـ ١٣٠٨هـ = ١٨٢٠ ـ ١٨٩٠م) مؤرّخ، سياسيّ، من رجال الإصلاح الإسلامي، أصله شركسي، قدم تونس صغيراً، وتعلّم القرآن والعربية والعلوم الدينية. لفت نظر أحمد باشا باي أثناء دراسته العسكرية فقرّبه إليه، ثم قلّده الوزارة؛ له (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك). انظر: الزركلي: ٢/ ٣٢٧؛ ومحفوظ: ٢/ ٢٧١؛ وسنة ولادته عند الزركلي (١٢٢٥هـ = ١٨١٠م).

الزيتونة وفي خطبه الجُمَعِيَّة بجامع (سبحان الله) من ربض باب سويقة العالم المصلح الذي نزع إلى الأصول والكليات، وقيل: إنّه أوَّل من نقل في دروسه عن ابن القيم في وقتٍ كان الرأيُ السائد عنه أنّه من المبتدعة هو وشيخه الحرّاني، وأظهر في نشاطه العلميّ أنّ الدين والحياة متلازمان، وكان إلى جانب شيخه محمود قبادو في الدعوة إلى الإقبال على علوم الحياة، فقد افتتح الجمعية الخلدونيّة بمحاضرة حلّل فيها مقدار حاجة العالِمِ المسلمِ إلى تلك العلوم سنة (١٨٩٦م)، وكان بكلّ ما سبق ذا نزعةٍ تجديدية واضحة، لذلك وجد فيه الأستاذ الشيخ محمد عبده العالم الذي يسير معه على نهجٍ واحد.

كان له مشاركة قوية في علوم السنّة النبوية، كما شارك في تحرير جريدة الحاضرة من سنة (١٨٨٨م) إلى سنة (١٩١٢م).

فتح بدروسه آفاقاً جديدة؛ فأعرض عن المناقشات اللفظية العقيمة، فكان مستقلّ الفكرة في بحثه، ولُوعاً بمناقشة الآراء وابتكار الأنظار، له قوّة التحليل وبراعة النقد والاحتجاج، داعياً إلى إبراز مقاصد الشريعة وإصلاح التعليم الديني، وقد قرأ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عليه (صحيح البخاري) بشرح القسطلانيّ، و(الموطأ) بشرح الشيخ الزرقانيّ قراءة تحقيق، وفي ذلك يقول ابن عاشور: «قرأتُ صحيح الإمام البخاري، رحمه الله ورضي عنه، على شيخنا وشيخ مشايخنا العلاّمة النحرير سيدي سالم بوحاجب المفتي المالكي... بشرح شهاب الدّين القسطلانيّ رحمه الله، قراءة تحقيق بجامع الزيتونة، وقرأتُ عليه من الموطأ أجزاء بشرح الشيخ الزرقاني قراءة تحقيق»[١].

---

(١) بلخوجة، ص٧٩، نقلاً عن دفتر شهادات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ص٣٠؛ وانظر: بلقاسم، ص٤٤ ـ ٤٥؛ وتراجم المؤلفين التونسيين: ٢/ ٧٧.

وقد أجاز الشيخ سالم مترجمنا بجميع محفوظاته وملحوظاته من معقول ومنقول في فروع أو أصول، إجازة تامّة مطلقة عامّة، وبالبخاري بسنده إلى الإمام صاحب الجامع المسند الصحيح.

٤ ـ **الشيخ محمد صالح الشريف**[1]، المولود في حدود (١٢٨٥هـ = ١٨٦٧م ـ ١٣٣٨هـ = ١٩٢١م)؛ أصل أسرته من بجاية في الجزائر؛ كان جدّه الشيخ محمد العربي الشريف أحد علماء جامع الزيتونة الأعظم بتونس.

تخرّج على كوكبةٍ من العلماء أمثال: عمر ابن الشيخ، وسالم بوحاجب، وحسين بن حسين، ومحمد النجار، ومحمد بن يوسف. وأحرز على شهادة التطويع الزيتونية سنة (١٣٠٤هـ).

انتصب للتدريس بالجامع الأعظم، وفي سنة (١٣١٠هـ) ارتقى إلى رتبة مدرّس من الطبقة الثانية، ثم انتقل بعد ذلك إلى التدريس من الطبقة الأولى.

شارك في سنة (١٣٦٦هـ) في لجنة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، ثم قصد الآستانة فدمشق، وحدثت بينه وبين محمد رشيد رضا صاحب (مجلة المنار) مشادّة عنيفة فيها، كما حدث مثل ذلك مع الشيخ محمد عبده أثناء زيارته الثانية إلى تونس (١٩٠٣م) بسبب مَيْل الأخير إلى ابن تيمية.

قام الشيخ بمهام كبيرة في طرابلس فكان مجاهداً واعظاً بعلمه، وعند حدوث الاضطراب بنهاية الحرب العالمية الأولى، خرج من تركية إلى سويسرة، وأقام بمدينة لوزان إلى أن تُوفّي بها، ثم نُقل جثمانه إلى تونس، ودُفِنَ بها.

---

(١) انظر: تراجم الأعلام للفاضل ابن عاشور، ص٢١٢.

قرأ عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: كتاب (شرح الشيخ خالد الأزهريّ)، و(القَطْر) لابن هشام، و(المكوديّ على الخلاصة) في النّحو، و(السُّلّم) في المنطق، و(مختصر السعد على العقائد النسفية)، و(التاودي على التحفة) في الفقه.

ومن أشهر دروسه تفسيره لكتاب (الكَشّاف) للزمخشري، ولعلَّ هذا من أسباب ولوع الشيخ ابن عاشور بهذا التفسير، ونقله عنه، ومناقشته لآرائه الاعتزالية، ونهجه منهجه اللغويّ في كثير من مواضع تفسيره (التحرير والتنوير)[1].

٥ ـ **الشيخ عبد القادر التميمي**: تخرَّج عليه ابن عاشور في تجويد القرآن الكريم، وعلم القراءات، وبخاصّة في رواية قالون[2].

٦ ـ **الشيخ عمر ابن الشيخ** (١٢٣٩هـ = ١٨٢٦م ـ ١٣٢٩هـ = ١٩١١م): هو عمر بن أحمد بن علي المعروف بابن الشيخ، وُلِدَ بقرية يُقال لها: (المالتين) من عمل بنزرت، الفقيه، المتكلّم، العارف بالفلسفة، الجامع بين المعقول والمنقول.

تلقّى العلم على كبار الأساتذة مثل: الشيخ محمد بن مصطفى البارودي، والشيخ محمد الخضار، والشيخ الشاذلي بن صالح، والشيخ محمد النيفر، والشيخ محمد ابن الخوجة، والشيخ محمد ابن عاشور الشهير بحمدة، والشيخ محمد البنا، والشيخ إبراهيم الرِّياحي.

جلس للتدريس بجامع الزيتونة سنة (١٢٦٦هـ)، ثم صار مدرّساً من الطبقة الأولى سنة (١٢٨٣هـ).

---

(١) الغالي، ص٤٥؛ بلخوجة، ص٧٦.

(٢) بلخوجة، ص٧٦.

درَّس رحمه الله كتباً عالية في علوم شتّى، وأقرأها قراءة بحث وتحقيق، منها: (الشَّرح المطوّل على متن التلخيص)، و(شرح الأشموني على الخلاصة)، وكتاب (مغني اللبيب)، و(المحلّي على جمع الجوامع)، و(شرح السعد على العقائد النسفيّة)، و(شرح الزرقاني على المختصر الخليلي)، و(تفسير القاضي البيضاوي)، و(المواقف) للعضد الإيجي، وكان بارعاً في تقرير عبارة الدرس؛ يقرّر عبارة المتن، ويبسّطها حتى يتّضح المراد منها، ثمّ يأخذ في سرد عبارات الشرح، وما تمسّ الحاجة إليه من الحواشي والكتب التي بحثت في الموضوع، لاسيّما الكتب التي استمدّ منها شارح الكتاب ويُتْبِعُها بالبيان جملةً جملة، ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها وأوضح مجملها، بحيث يتعلَّم الطالب كيف تلتقط جواهر المعاني من أقوال المؤلّفين.

وقد أخذ عنه الشيخ ابن عاشور (المواقف) للإيجي، و(تفسير البيضاوي)، وأجازه سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٨م)[(١)].

٧ ـ **الشيخ عمر ابن عاشور**: أخذ عنه (لامية الأفعال) وشروحها في الصرف، وتعليق الدماميني على (المغني) لابن هشام في النحو، و(مختصر السعد) في البلاغة، و(الدردير) في الفقه، و(الدرّة) في الفرائض[(٢)].

٨ ـ **الشيخ محمد الخياري**: مقرئ، قرأ عليه في مسجد سيدي أبي حديد القرآن الكريم وحفظه على يدَيْه، وكان قد توجَّه إليه في أوَّل أمرِه، ويقع مسجدُه مجاوراً لبيتهم بنهج الباشا بمدينة تونس[(٣)].

---

(١) تراجم المؤلّفين التونسيين: ٣/ ٢١٣؛ بلخوجة، ص٧٩، ٨١؛ الغالي، ص٤٢.

(٢) بلخوجة، ص٧٦.

(٣) الغالي، ص٣٧، نقلاً عن بلخوجة في جوهر الإسلام، السنة العاشرة، ع٣ ـ ٤، =

٩ ـ الشيخ محمد صالح الشاهد: قرأ عليه (الدرديـر)[١].

١٠ ـ الشيخ محمد طاهر جعفر: قرأ عليه (شرح المحلّي على جمع الجوامع) في أصول الفقه، و(شرح الشهاب الخفاجي على الشفا للقاضي عياض) في السيرة النبوية[٢].

١١ ـ الشيخ محمد العربي الدرعي: قرأ عليه (كفاية الطالب على الرسالة) في فقه المالكية[٣].

١٢ ـ الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بوعتُّور (١٢٤٠هـ - ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م).

هو جدّه للأُمّ، نشأ تحت رعاية والده الشيخ محمد الحبيب، وحفظ القرآن على يديه، التحق بجامع الزيتونة سنة (١٢٥٤هـ)، فتلقَّى العلوم الدينية والعربية وغيرها من كبار الأساتذة والشيوخ، منهم: الشيخ محمد ابن الخوجة، والشيخ محمد النيفر، والشيخ إبراهيم الرّياحيّ وابنه الشيخ محمد الطيّب، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (الجدّ). تصدّر وزارة القلم، ثمّ عُيّن وزيراً للمال سنة (١٢٨٣هـ)، ثم اعتمده خير الدين التونسي وزير استشارة سنة (١٢٩٠هـ)، ثمّ تولَّى الوزارة الكبرى بعد مصطفى بن إسـماعيل، وبعد انتصاب نظام الحمايـة على تونس سـنة (١٣٠٠هـ)، واستمرَّ في هذا المنصب إلى يوم وفاته رحمه الله.

عُرِف بوعَتُّور بأنَّه العالم الوزير ذو النظر الواسع، والبحث الحرّ،

= سنة (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م)، ص١٢.

(١) بلخوجة، ص٧٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

والكشف عن الأسرار في القضايا التي ناقشها.

وهو مع ذلك كلّه كانت نفسه توّاقةً إلى شرف العلم والزهد في المناصب؛ يقول في ذلك: «ويشهد الله أنّي ما فكَّرتُ قطّ في وظيفة مدّة قراءتي للعلم، وما قرأتُ إلا طلباً للكمال العقلي، ولقد فاجأتني الأقدار بما آل إليه أمري، والإنسان مسيَّر لا مخيَّر».

ولقد تحقَّقت على يدَيْه عديد من الإصلاحات نالت إعجاب الوزراء وتقدير الأمراء؛ منها:

- إصلاح نظام التعليم بالجامع الأعظم (الزيتونة).
- مساعدة خير الدين التونسي على تأسيس المدرسية الصادقية.
- تأسيس جمعية الأوقاف.
- تنظيم جمعية الأوقاف.
- تنظيم المحاكم الشرعية.
- تحرير لوائح قوانين الدولة والقانون الداخلي للمجلس الأكبر.
- شرح قانون عهد الأمان: تأصيلاً وتفريعاً عليه قصد إجراء كلّياته على قواعد عهد الأمان[1].

١٣ ـ الشيخ محمد بن عثمان النجّار: (١٢٤٧هـ = ١٨٣٢م ـ ١٣١٣هـ = ١٨٩٦م): مدرّس في جامع الزيتونة، من مؤلّفاته (مجموع الفتاوى)، و(بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق)، و(شمس الظهيرة)، و(فقه أبي هريرة)، و(تحرير المقال).

---

(١) انظر: تراجم الأعلام، ص١٤١ ـ ١٥٤؛ تونس وجامع الزيتونة، ص٨٩ ـ ٩١؛ الغالي، ص٤٠ ـ ٤٢؛ تراجم المؤلّفين التونسيين (ترجمة بوعتّور).

درس عليه ابن عاشور كتاب (المكودي على الخلاصة في النحو)، و(مختصر السعد في البلاغة)، و(المواقف في علم الكلام) بالاشتراك مع الشيخ محمد الخضر حسين، و(البيقونيّة في المصطلح)[1].

١٤ ـ **الشيخ محمد النّخلي**: من أشهر علماء الزيتونة؛ برع في العلوم العقليّة والنقليّة، وصفه تلميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس فقال: «رجلان يشار إليهما بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسموّ والاتّساع في التفكير؛ أوّلهما: العلاّمة الأستاذ شيخنا محمد النخلي القيرواني رحمه الله، وثانيهما: العلاّمة شيخنا محمد الطاهر ابن عاشور، كانا يحبّذان آراء الأستاذ محمد عبده في الإصلاح ويناضلان عنها فيمن يقرأ عليهما»[2].

كتب رسالة قرّظ فيها (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده، إذ كان متأثّراً بالآراء الإصلاحية له، وحرّر نقداً لأهمّ مسائلها تحرير المطّلع على أُمّات مسائلها؛ كمسألة (الكسب عند الأشعري)، والتحسين والتقبيح العقليين، وهي رسالة تعليمية تُعَدُّ زبدة لما ذكره ابن الهمام في المسايرة على حدّ تعبير الشيخ النخلي في رسالته.

وقد قرأ عليه ابن عاشور (قطر الندى)، و(المكودي على الخلاصة)، و(مقدمة الإعراب في النحو)، و(مختصر السعد في البلاغة)، و(التهذيب في المنطق)، وتخرّج به في أصول الفقه، فقرأ عليه (الحطّاب على الورقات)، و(التنقيح) للقرافي، وفي الفقه المالكي: (ميّارة على

---

(١) بلخوجة، ص٧٦، ٧٩؛ الغالي، ص٣٦، ٤٥.

(٢) جريدة البصائر، العدد ١٦، ٢٤ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م = ٢ صفر ١٣٥٥هـ، ص١.

المرشد)، و(كفاية الطالب على رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، وبعد حصوله على شهادة التطويع قرأ عليه: (الوسطى في العقيدة)، وكتاب (المحلّي على جمع الجوامع) في أصول الفقه، و(المطوّل في البلاغة)، و(الأشموني في النحو)[١].

١٥ ـ **الشيخ محمود ابن الخوجة**: شيخ الإسلام، أجازه الشيخ بالرواية[٢].

مقروءاته:

تنوَّعت قراءات الشيخ ابن عاشور العلميّة على الشيوخ؛ فشملت: القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأصوله، والتوحيد، والفرائض، والسيرة النبويّة، وعلم المنطق، والنحو والصَّرف، والبلاغة، والأدب، وما يتَّصل بعلوم العربية؛ إضافةً إلى تعلّمه الفرنسية على يد أستاذ خاصّ.

وقد تحصَّل لديّ ثَبَتٌ بمقروءاته على الشيوخ، وهي:

في القرآن الكريم وعلومه: تخرَّج في تجويد القرآن، وعلم القراءات، وبخاصّة في رواية قالون، على الشيخ عبد القادر التميميّ، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد الخياري.

وقرأ (تفسير البيضاوي) على الشيخ عمر ابن الشيخ، وحضر دروس (تفسير الكشاف) للزمخشري للشيخ محمد صالح الشريف.

وفي **الحديث الشريف**: قرأ (الجامع الصحيح) للبخاريّ بشرح القسطلانيّ، قراءة تحقيق، و(الموطأ) بشرح الزرقانيّ قراءة تحقيق، على

---

(١) بلخوجة، ص٧٦، ٧٩؛ الغالي، ص٤٦ ـ ٤٧.
(٢) بلخوجة، ص٨١.

الشيخ سالم بوحاجب.

وأجازه جدّه للأم الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتُّور برواية الصحيحين: البخاريّ ومسلم. ودرسَ كتب السنن أيضاً في مرحلة دراسته الزيتونية.

وفي **مصطلح الحديث**: قرأ (البيقونية) على الشيخ محمد بن عثمان النجار.

كما قرأ (شرح غرامي صحيح).

وفي **علم الكلام**: قرأ (مختصر السعد على العقائد النسفية) على الشيخ محمد صالح الشريف، و(المواقف في علم الكلام) للإيجي على الشيخ عمر بن الشيخ، والشيخ محمد بن عثمان النجار، و(الوسطى في العقيدة) على الشيخ محمد النَّخلي.

وفي **الفقه**: قرأ (الدردير) على الشيخ أحمد جمال الدين، والشيخ عمر ابن عاشور، والشيخ محمد صالح الشاهد، وقرأ (التاودي على التحفة) على الشيخ محمد صالح الشريف، و(كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني) على الشيخ محمد العربي الدرعي، والشيخ محمد النخلي. وقرأ أيضاً (ميّارة على المرشد).

وفي **الفرائض**: قرأ (الدرّة في الفرائض) على الشيخ عمر ابن عاشور.

وفي **أصول الفقه**: قرأ (شرح المحلّي على جمع الجوامع) على الشيخ محمد طاهر جعفر، والشيخ محمد النخلي الذي قرأ عليه أيضاً (الحطّاب على الورقات)، و(التنقيح) للقرافي.

وفي **السيرة النبوية**: قرأ (شرح الخفاجي على الشفا للقاضي عياض) على الشيخ محمد طاهر جعفر.

وفي **علم المنطق**: قرأ (السُّلَّم) على الشيخ محمد صالح الشريف، و(التهذيب في المنطق) على الشيخ محمد النخلي.

وفي **النحو والصرف**: قرأ (شرح الشيخ خالد الأزهري) على الشيخ أحمد بن بدر الكافي، والشيخ محمد صالح الشريف، وقرأ (قَطْر النَّدى) لابن هشام على الشيخ أحمد جمال الدين، والشيخ محمد العزيز بوعتُّور، كما قرأ (المكودي على الخلاصة في النحو)، و(قطر الندى) على الشيخ محمد صالح الشريف، وقرأ (لامية الأفعال) وشروحها في الصرف و(تعليق الدماميني على مغني اللبيب) على الشيخ عمر ابن عاشور، وقرأ (المكودي على الخلاصة في النحو) على الشيخ محمد بن عثمان النجار، وقرأ على الشيخ محمد النخلي (المكودي) و(قطر الندى) و(مقدمة الإعراب في النحو) و(الأشموني في النحو).

وفي **البلاغة**: قرأ (مختصر السعد في البلاغة) على الشيخ عمر ابن عاشور، والشيخ محمد بن عثمان النجار، والشيخ محمد النخلي، وقد قرأ على الأخير أيضاً (المطوَّل في البلاغة). وحضر عدداً من الدروس في (دلائل الإعجاز) على العلاّمة محمد بن يوسف[1]. وقرأ (الدمنهوري على السمرقندية) و(التلخيص بشرح المطوّل للسعد)، و(المفتاح للسَّكَّاكي بشرح السَّيِّد).

وفي اللغة: قرأ (المزهر في علوم اللغة) للسيوطي، و(الحماسة) بشرح المرزوقي، و(المثل السائر) لابن الأثير.

ودرس **اللغة الفرنسية**: على أستاذه الخاصّ أحمد بن ونّاس المحمودي.

---

(١) عنوان الأريب: ٢/٨٩٨، ٣١٧.

إجازاته في رواية الحديث:

تحمَّل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رواية الحديث النبوي الشريف، وله في ذلك إجازات:

- إجازة من الشيخ محمد العزيز بوعتُّور سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٤م).

- إجازة من الشيخ محمود ابن الخوجة.

- إجازة من شيخ الشيوخ العلاَّمة سالم بوحاجب سنة (١٣٢٨هـ = ١٩١١م).

- إجازة من العالم الشيخ عمر ابن الشيخ سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٨م)[١].

* * *

(١) تونس وجامع الزيتونة؛ ومقالات الإمام، ص٩.

تدريسه وتلامذته

الكتب التي أقرأها:

قام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بإقراء كتب عاليةٍ في جامع الزيتونـة؛ فدرَّس (أسـرار البلاغة) و(دلائـل الإعجاز) للجرجانـي، و(الشرح المطوَّل) للتفتازانيّ، و(شـرح جـلال الدّين المحلّـي لجمع الجوامع في الأصول)، و(مقدّمة ابن خلدون)، و(موطأ الإمام مالك بن أنس)، و(ديوان الحماسة)، والظاهر أنَّه أوَّل من درَّس ديوان الحماسة في جامع الزيتونة، وذلك في سعيه لإحياء بعض العلوم العربية بالجامع، وقد كان غالب أهل العصر يقتصر منها على النحو وعلى المعاني والبيان؛ فأكثر من دروس الصرف في مراتب التعليم الثلاث، ومن دروس أدب اللغة، وشرع في تدريس (ديوان الحماسة) بنفسه؛ كما يقول الشيخ محمد الخضر حسين[1].

كما كان يقوم بتدريس الحديث النبوي الشريف ليالي رمضان بعد التراويح، وكان المعيد في الدرس ابنه الشيخ محمد الفاضل رحمه الله[2].

احترامه لوقت الدرس:

لمَّا تولَّى الشيخ ابن عاشور مشيخة جامع الزيتونة، أدخل بعض

---

(١) تونس وجامع الزيتونة، ص١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) الغالي، ص٦٧.

الإصلاحات على التعليم الزيتوني؛ كتقسيم التعليم إلى المراحل الثلاث المعلومة، وجعل حصّة الدرس لا تتجاوز ساعة، وتعيين موادّ الدراسة والشيخ المدرِّس لها في كلٍّ فصل (طريقة) مع بيان أوقات الدرس لكل مادة، ولم يكن المدرِّسون متعوّدين بمثل هذه الإصلاحات الجزئية، فقد كان المدرّس حرّاً في مدّة حصة الدرس التي تستغرق وقتاً حسب رغبته، حتى إنّ بعضهم كان يستمرّ درسه ثلاث ساعات، وكان التلاميذ أحراراً في انتخاب المدرِّس الذي يروق لهم، ومثل هذه الإصلاحات التنظيمية لم يقبلها كثيرون من خصوم ابن عاشور، فراحوا يكيدون له الدسائس، ويسوِّدون المقالات في جريدة (الزهراء)، ويردّ عليهم مؤيّدوه في جريدة (النهضة)، وسمّى الشيخ ابن عاشور الأستاذ محمد بوشريبة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م ـ ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م) ـ وهو أديب شاعر ـ قيّماً عامّاً، وأوصاه بأن ينبّه عند اقتراب الساعة على انتهاء موعد الدرس، وأن ينبّه عليه نفسه إذا كان يقرأ درساً في (الموطأ) عند الساعة الحادية عشرة، فكان ينبّه عليه فعلاً عند اقتراب انقضاء الساعة بعبارته التقليدية: «سيدي وقت»، فيجيبه: الله يبارك. ويقرأ فاتحة الكتاب وينتهي مجلس الدرس[1].

تلامذته:

تحمَّل العلمَ عن ابن عاشـور جمٌّ غفير مـن الجمهـور التونسـي والجزائري خاصة، وممَّن كان يقصد الزيتونة ويستمع لدروسه؛ فكان منهم الأديب والفقيه والمؤرِّخ والصحافي والاقتصادي، وتخرَّج على يديه كبار الوزراء والكتَّاب، وكان مرجعاً لأساتذة الزيتونة وعلمائها إلى آخر أيام حياته.

---

(١) تراجم المؤلّفين التونسيين: ٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

وقد اقتصرتُ على ذكر مَنْ عُرِف بالتأليف من تلامذته ممَّن ترجم لهم الأستاذ محمد محفوظ في كتابه (تراجم المؤلّفين التونسيين) ونصَّ في ترجمتهم على أنَّهم من تلامذته، إضافة إلى بعض تلامذته من القطر الجزائري، وتركتُ ما سوى ذلك.

١ ـ محمد الصادق ابن الحاج محمود، المعروف بـ(بسّيس): المولود بتونس في (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م)، والمتوفى سنة (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م)، الكاتب الأديب المفكّر، من أعلام الثقافة الإسلامية، أحرز على شهادة العالمية من جامع الزيتونة، ثمَّ خطّة وظيفة التدريس، كان شعلة من الذكاء، دؤوباً على المطالعة المتنوّعة، له أكثر من عشرة كتب فضلاً عن كتابته. حكى للأستاذ محمد محفوظ أنّه كان مغرماً بالمطالعة وبالخصوص في كتب الحديث الشريف وتاريخ تونس قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة، فكان يلتحق بالشيخ الطاهر ابن عاشور عند مروره بالأنهج (الطرق) القريبة من جامع الزيتونة أو الديوان الشرعيّ ليسأله عن معنى حديث أو درجته. واستمرَّ معه حبّ الحديث النبوي بعد ذلك حتى إنّه صار عارفاً بتراجم رجاله يروي الكثير من أحوالهم ومواقفهم المشهورة[1].

٢ ـ الشطي، محمد الصادق بن محمد: المولود ببلدة الأشراف سنة (١٣١٢هـ = ١٨٩٤م)، والمتوفّى سنة (١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م)، فقيه فرضيّ، استظهر القرآن، وحفظ كثيراً من المتون، التحق بجامع الزيتونة في سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م)، وأخذ عن أعلامه، وحاز شهادة التطويع سنة (١٣٣١هـ = ١٩١٢م)، بعد ذلك درَّس بجامع الزيتونة، وفي سنة (١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م) نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى؛ له (تهذيب وتحرير إيضاح السالك في قواعد الإمام مالك) للونشريسي

---

(١) تراجم المؤلّفين التونسيين: ١/ ٩٨ ـ ١٠٣.

صاحب (المعيار المعرب)، و(روح التربية والتعليم)، و(الغرّة في شرح فقه الدرّة)، و(لباب الفرائض)[1].

٣ـ **ابن شعبان، أبو الحسن بن شعبان**: الأديب الشاعر؛ المولود في تونس سنة (١٣١٥هـ = ١٨٩٧م)، والمتوفّى سنة (١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م)، أديب شاعر، تحصَّل على شهادة التطويع سنة (١٣٣٣هـ = ١٩١٥م) فباشر مهنة التعليم بمدرسة ترشيح المعلّمين. ظهر نبوغه في الشعر باكراً؛ فنشرت له الصحف شعره قبل استكمال دراسته بالزيتونة.

حكى عن نفسه أنَّه كان يحضر دروس العلاَّمة الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في (الموطأ) وهو إذ ذاك شيخ الزيتونة، وشيخ الإسلام المالكي حوالي عام (١٩٣٣م)، وفي ذات مرّة ناقش الشيخ ابن عاشور في مدلول لفظة لغوية، والشيخ ابن عاشور متمكِّن في مادة اللغة، متثبّت في نقله، مع سموّ ذوق وقدرة على الترجيح بين الأقوال، في أسلوب علمي وحُسن عرض. ولما طالت المناقشة أراد المترجم أن يفحم الشيخ ابن عاشور فاخترع لوقته شاهداً شعريّاً على صحّة زعمه، فأجابه الشيخ ابن عاشور بديهةً ومن الوزن والرويّ نفسه:

يروون من الشعر ما لا يوجد

ففغر فاه مبهوتاً من شدّة ذكاء الشيخ وسرعة بديهته[2].

٤ ـ **محمد الفاضل ابن الإمام محمد الطاهر ابن عاشور**: المولود في المرسى بتونس في (١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م)، والمتوفّى سنة (١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م)، أحد الأئمّة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر، ومن أعلام

---

(١) تراجم المؤلّفين التونسيين: ٣/ ١٩٨.
(٢) المصدر السابق: ٣/ ١٩٨ـ ١٩٩.

الفكر الإسلامي الحديث، كان رحمه الله موسوعيّ الثقافة، وخطيباً لامعاً، وسياسياً محنّكاً، اعتنى والده بتربيته وتوجيهه عنايةً بالغة فيها حزم ولين، حاز على شهادة التطويع (ختم الدروس الثانوية) سنة (١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م)، وفي السنة الدراسة الموالية أقبل على مزاولة التعليم العالي بجامع الزيتونة، وانخرط في سلك التدريس العليا للغة والآداب العربية بسوق العطّارين، وانتسب إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة (١٩٣١م). اجتاز بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الثانية سنة (١٩٣٢م)، وبعد مدّة اجتاز كذلك بنجاح مناظرة التدريس من الطبقة الأولى.

ألقى محاضرات على منبر معهد الخلدونية، وقام بعدّة رحلات إلى أوروبة وبعض الدول العربية، وفي الفترة (١٩٤٥ ـ ١٩٤٦م) أصبح مديراً للخلدونية ولمعهد البحوث الإسلامية التابع لها، وألقى فيه محاضرات، فتح بها المجال واسعاً لفهم السياسة الدولية وسير متعرّجاتها، دلّت على اطّلاعه الواسع، وفكره النيّر، وفهمه الدقيق، وذوقه الرشيق، حتى إنّه كان فذّاً بين مدرّسي الزيتونة لا يشاركه أحد في سعة معارفه، وثقافته الحديثة، وغزارة اطّلاعه، وسموّ أخلاقه. له نحو سبع مؤلّفات، أشهرها: (التفسير ورجاله)، و(الحركة الأدبية والفكرية في تونس)، و(أركان النهضة الأدبية بتونس)، و(تراجم الأعلام)[1].

٥ ـ **علي بن محمد البوديلمي**: عالم جزائري، درس على ابن باديس في قسنطينة، ثمَّ توجَّه إلى جامع الزيتونة بتونس، ثم إلى القرويين بالمغرب. وتحصَّل على شهادات في العلوم الإسلامية. قيل: إنَّه ختم تفسير القرآن الكريم بالجامع الأعظم بتلمسان، إضافةً إلى دروسه في الحديث الشريف. جمع بين العلم والتصوّف. له مؤلَّفات في الوعظ

---

(١) المصدر السابق: ٣/ ٣١٠ ـ ٣١٤.

والإرشاد ونحو ذلك؛ منها: (إماطة اللثام)، و(رفع التلبيس عن وساوس إبليس)، و(حاجة البشرية إلى الدين)، و(الرسالة الديلمية في صيانة العائلة الإسلاميّة)، و(كشف الغيم في قضيّة عيسى ابن مريم)[1].

٦ ـ محمد العيد آل خليفة (١٣٢٣هـ = ١٩٠٤م ـ ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م): شاعر جزائريّ، سجَّل شعره أطوار النهضة الإسلاميّة في الجزائر، وكان من تلاميذ الزيتونة، أجازه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور سنة (١٣٧٢هـ) عندما كان مدرّساً في عين مليلة[2]، شارك في حركة الانبعاث الفكريّ بالتعليم والنشر في الصحف والمجلاّت، كما شارك في تأسيس جمعية المسلمين الجزائريين؛ اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق، له (ديوان محمد العيد خليفة)[3].

ومن تلامذته: العلاَّمة الشيخ أحمد كريّم، فقيه الحنفية في الزيتونة[4]، والشيخ العلاّمة محمد

---

(١) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م: ٧/ ٢٣ـ٢٦.

(٢) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله: ٧/ ٧٠ و٨/ ٢٢٥.

(٣) إتمام الأعلام، نزار أباظة ورياض المالح، ص٣٩٥.

(٤) أحمد بن محمود، المدعو كريم بن عصمان (١٢٤٣ـ ١٣٤٧هـ) أحد علماء تونس وأدبائها، التحق بطلاب العلم في جامع الزيتونة، فتلقى العلم عن أكابر علمائه، منهم الشيخ الطاهر ابن عاشور، وتولى التدريس وأقرأ به كتباً عالية. عُيِّن نائباً لرئيس مجالس النظر في الجنايات، ثم رئيساً لها سنة ١٢٧٧هـ، ثم تولّى خطّة الإفتاء الحنفي سنة ١٢٨٠هـ، وتولى مع ذلك الإمامة والخطابة والتدريس بالجامع الحسني سنة ١٢٨٤هـ، وتولى مشيخة الإسلام بعد ذلك فألبسها كرامة، فلم يلوّثها بالتملّق لذي سلطان؛ له تقييدات ومؤلّفات في الفقه الحنفيّ، وشرح قصيدة كعب بن زهير؛ ترجمته في مجلة (الهداية الإسلامية: ١/ ٢٦٢).

الشاذلي النيفر رحمهما الله[1].

* * *

(١) محمد الشاذلي بن محمد الصادق النَّيفر (١٣٣٠ ـ ١٤١٨هـ = ١٩١١ ـ ١٩٩٨م) من كبار علماء تونس، وُلد في بيت علم وشرف، وحصل على شهادة الزيتونة، وتولّى الإمامة والخطابة، عُرف بمواقفه ونشاطه الوطني فلُوحِقَ من المستعمرين. انتخب عضواً في مجلس الأمة الأول عام ١٩٥٩م، وفي المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي، وعميداً للكلية الزيتونية وأصول الدين، وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة. كان رحمه الله مقصد أهل العلم من الزائرين لتونس، وفتح مكتبته للروّاد، وأنفق عليها ما يملك تجهيزاً لقاعة الباحثين وشراءً للمخطوطات والمطبوعات؛ إذ ضمّت نحو ألف مخطوط وخمسة عشر ألف عنوان مطبوع. وقد تفضّل بإجازتي بمروياته من الحديث الشريف. ألَّف وحقّق نحو الثلاثين من الكتب، أشهرها (المُعْلِم بفوائد مسلم) للمازريّ المالكي، وهو أول شرح لصحيح مسلم في أجزاء ثلاثة. انظر ترجمته في (إتمام الأعلام)، ص٣٦٧، و(بحوث ودراسات مهداة إلى الشيخ محمد الشاذلي النيفر)، طبع دار الغرب الإسلامي.

وظائفه

تولَّى ابنُ عاشور مناصبَ علمية وإدارية بارزة؛ وقد آثرتُ وَضْع ترتيب تاريخيّ لذلك من حصوله على شهادة التطويع (التعليم الزيتوني) وحتى وفاته، وهذا ثَبَتٌ حَوْلِيٌّ بالوظائف التي أُسْنِدَت إلى ابن عاشور رحمه الله:

(١٣١٧هـ = ١٨٩٩م):

بدؤه بالتدريس بالجامع الأعظم (الزيتونة)[١] بعد نيله شهادة التطويع في السنة نفسها.

(١٣٢٠هـ = ١٩٠٣م):

نجح في مناظرة الطبقة الثانية ليتولّى مهام التعليم بصفة رسميّة بالجامع الأعظم، وذلك عوضاً عن الشيخ محمد النخلي (ت١٩٢٥م) الذي ارتقى إلى الطبقة الأولى بوفاة الصادق الشاهد[٢].

(١٣٢١هـ = ١٩٠٤م):

انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقيّة، وبقي بها حتى سنة (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م)، خلا فترة مباشرته للقضاء[٣].

(١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م):

عُيِّن عضواً بمجلس إدارة الجمعيّة الخلدونيّة.

---

(١) الغالي، ص٥٦.

(٢) بلخوجة، ص٨٣؛ الغالي، ص٥٦.

(٣) بلخوجة، ص٨٣.

وفي السنة نفسها شارك في اللجنة المكلَّفة بوضع فهرس للمكتبة الصادقية بوصفه عضواً؛ وذلك نظراً لعنايته بالكتب والمخطوطات[1].

(١٣٢٤هـ = ١٩٠٥م):

شارك في مناظرة التدريس للطبقة الأولى بجامع الزيتونة، وكان درسه في تلك المناظرة في الفقه، وموضوعه بيع الخيار، وكانت خطَّة (وظيفة) التدريس عوضاً عن الشيخ حسين بن حسنين (ت١٣٢٩هـ = ١٩٠٦م).

وعُيِّن في السنة نفسها مدرِّساً بالمدرسة الصادقيّة حتى سنة (١٩٣٢م)، كما عُيِّنَ عضواً في هيئة إدارة الجمعية الخلدونية[2].

(١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م):

عُيِّن نائباً أوّل للحكومة لدى النظارة العلميّة بجامع الزيتونة[3].

(١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م):

سُمِّي عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم، وكتب تقريراً عن حالة التعليم، واقترح إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي في مدن القيروان وسوسة وصفاقس وتوزر وقفصة[4].

(١٣٢٦هـ = ١٩٠٩م):

---

(١) بلخوجة، ص٨٥.

(٢) تراجم المؤلّفين التونسيين: ٣/ ٣٠٤، بلخوجة، ص٨٤؛ الغالي، ص٥٦؛ مقالات الإمام، ص١٠.

(٣) بلخوجة، ص٨٥؛ الغالي، ص٥٨؛ وانظر تعريف (النظارة) في حوادث سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٣م فيما بعد.

(٤) محفوظ: ٣/ ٣٠٥؛ بلخوجة، ص٨٥.

سُمِّي عضواً بمجلس المدارس، وبمجلس إدارة المدرسة الصادقيّة[1].

(١٣٢٧هـ = ١٩١٠م):

ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية ابتداءً من ربيع الأنور/ مارس- آذار[2].

(١٣٢٨هـ = ١٩١٠م):

سُمِّي عضواً بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة[3].

(١٣٢٨هـ = ١٩١١م):

عُيِّن عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى[4]. وفي السنة نفسها اختير حاكماً بالمجلس المختلط العقاري[5].

(١٣٣١هـ = ١٩١٣م):

عُيِّن قاضياً مالكيّاً للجماعة بالمجلس الشرعيّ، وذلك حتى سنة (١٣٤١هـ = ١٩٢٣م)[6]. وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلميّة المديرة لشؤون جامع الزيتونة[7].

---

(١) بلخوجة: ٨٥؛ الغالي، ص٥٨.
(٢) بلخوجة، ص٨٥.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) المرجع السابق، ص٨٦.
(٦) محفوظ: ٣/ ٣٠٥؛ بلخوجة، ص٢٦.
(٧) (النظارة العلمية): هي الهيئة التي تشرف على التعليم بجامع الزيتونة، وهي تتألف من شيخي الإسلام المالكي والحنفي، والقاضيين المالكي والحنفي. من تقديم عبد الملك ابن عاشور لكتاب والده (أليس الصبح بقريب)، ص٣.

(١٣٤١هـ = ١٩٢٣م):

عُيِّن مفتياً في رجب/ مارس ـ آذار، إذ سُمِّي نائباً عن الشيخ باش مفتي، وفُوِّض إليه مباشرة وظائفه العلمية والشرعية[١].

(١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م):

عُيِّن مفتياً ثانياً مكلَّفاً بمنصب باش مفتي، أي: رئيس المفتين، وهو لقب تفخيمي أحدثته الدولة الحسينية[٢].

(١٣٤٣هـ = ١٩٢٤م):

عُيِّن عضواً في مجلس الإصلاح الثالث؛ وقد سبق أن عُيِّن كما أسلفنا في مجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة سنة (١٣٢٨هـ = ١٩١٠م)[٣].

(١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م):

ارتقى إلى منصب كبير أهل الشورى[٤].

(١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م):

عُيِّن عضواً في مجلس الإصلاح الرابع، وبحكم وظيفته الشرعية قاضياً أو كبير أهل الشورى عُيِّن عضواً في النظارة العلميّة[٥].

---

(١) بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٦٢.

(٢) بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٦٢؛ وعند محفوظ: ٣/ ٣٠٥: أنَّه تمَّ إسناد خطَّة باش مفتي إليه سنة (١٣٤٥هـ = ١٩٢٧م).

(٣) بلخوجة، ص٨٥؛ الغالي، ص٥٨.

(٤) بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٦٢.

(٥) بلخوجة، ص٨٥.

(١٣٥١هـ = ١٩٣٢م):

تسلَّم منصب شيخ الإسلام المالكي؛ وذلك في ٢٣ محرم/ ٢٧ مايو ـ أيار[١].

وعُيِّن شيخاً للجامع الأعظم وفروعه في سبتمبر ـ أيلول حتى عام (١٩٣٣م)، وبقي على رأس مشيخة الجامع مدّة لا تزيد عن السنة والنصف، ولكنّها كانت فترة مليئة بالأحداث، وعَدَّ الشيخ الفاضل ابن عاشور ذلك التعيين انتصاراً للحركة الطلابية والحركة الإصلاحية[٢]، وقد فُصل عن هذا المنصب بسبب دسائس خصومه ومنافسيه وما أبداه المحافظون من شيوخ الزيتونة من معارضة صريحة لبرنامجه الإصلاحي. فألصقوا به فتوى التجنيس التي لم تُحرَّر أصلاً، ونسبوا جرمها إليه لتبغيض العامة والخاصة فيه[٣].

ويذكر البعض أنّه استقال بسبب العراقيل والصعوبات التي وقفت في وجهه خاصّة من المعارضة التي اصطدم بها من الشيوخ: محمد بيرم، والطاهر جعفر، وصالح الشريف عند عزمه على إصلاح التعليم الزيتوني[٤].

(١٣٦٤هـ = ١٩٤٤م):

عاد إلى مباشرة مهامه شيخاً للجامع الأعظم وفروعه، وبقي فيها حتى (١٣٧٢هـ = ١٩٥١م)[٥] شهر أبريل ـ نيسان.

---

(١) بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٦٢.
(٢) بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٥٩.
(٣) الغالي، ص٥٩.
(٤) المرجع السابق، ص٥٨.
(٥) محفوظ: ٣/ ٣٠٥؛ بلخوجة، ص٨٦؛ الغالي، ص٥٩؛ وانظر (المجلة =

(١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م):

عُيِّن عميداً للجامعة الزيتونية إثر استقلال البلاد، وبقي في هذا المنصب حتى سنة (١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م).

عضويّته في مجمع اللغة العربية بدمشق:

انتُخب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي (الاسم القديم لمجمع اللغة العربية بدمشق) وذلك سنة (١٩٥٥م) بصفة عضوٍ مراسلٍ؛ ذلك أنَّ مجمع دمشق فيه نوعان من العضويّة: فهناك عضوية عضو عامل؛ وهو مَن ينتخبه المجلس عضواً، ويكون محلّ إقامته بمدينة دمشق، وهناك عضو مراسل؛ وهو مَن ينتخبه المجمع، ويكون محلّ إقامته خارج مدينة دمشق أو لا يحمل الجنسية العربية السورية.

وقد أذِنَ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام (رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق) لي بمراجعة ملف الشيخ ابن عاشور في المجمع، وذلك بغرض نشر الوثائق التي يتضمّنها هذا الملف ليكون القرّاء والباحثون على اطِّلاع؛ فله الشكر والامتنان:

الوثيقة الأولى:

عقدت لجنة الأعضاء المراسلين المؤلّفة من الأمير جعفر الحسيني، والدكتور جميل صليبا، والدكتور سامي الدهان عدّة اجتماعات برئاسة رئيس المجمع العلمي العربي فرأت أن ترشّح العلماء الآتية أسماؤهم وهم:

= الزيتونية) مج٦، ج٢و٣. وهو عدد ممتاز خاص بجامع الزيتونة، وفيه كلمة المترجَم بمناسبة احتفال تخرّج الطلبة، وكلمات عدد من شيوخ الجامع الأعظم وقصائدهم ومديحهم.

ـ ديدرينغ (السويد) S.Dedering :

تخصَّص بالدراسات التاريخية، ونشر جزأين (الثاني والثالث) من الوافي بالوفيات للصفدي سنة (١٩٤٩م و١٩٥٣م).

ـ نيبرغ (السويد) H.S.Nyberg :

زميل للأستاذ سيترستين في الاستشراق والتدريس؛ وخلفه في جامعة (أوبسالا) وبها مكتبة كبيرة لمخطوطاتنا العربية. تخصَّص في التصوّف، وترأس التحرير لمجلة العالم الشرقي، ونشر كتاب فضيلة المعتزلة للخياط، وحقّق مؤلَّفات ابن عربي: إنشاء الدوائر، عقلة المستوفز، التدبيرات الإلهية، ونشرها بهولندة سنة (١٩١٩م) مع ترجمتها بالألمانية، وكتب كثيراً من المقالات عن التصوّف والمعتزلة في دائرة المعارف الإسلامية، وأشهرها مقالة عن المعتزلة والخياط.

ـ آصف علي أصغر فيضي ـ الهند:

وُلد في ١٠ أبريل (١٨٩٩م)، درس القانون في كمبريدج، ونال فيه مرتبة الشرف الأوّل، وعُيِّن عميداً لكليّة الحقوق في بومباي، ودرَّس الشريعة الإسلامية وثقافتها، وعُيِّن سنة (١٩٤٩م) سفيراً لبلاده في مصر ولبنان وسورية والأردن، وظلَّ في منصبه حتى سنة (١٩٥١م).

تآليفه كثيرة، منها بالإنكليزية: المدخل للقانون المحمّدي، الثقافة الإسلامية. ونشر بالعربية: كتاب (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان بن محمد مع مقدّمة وتعليقات.

وهو يجيد لغات عدّة: العربية، والفارسية، والأُردية، والكوجراتية، والمارانية، والفرنسية، والإنكليزية، والألمانية. وهذه بعض عناوين كتبه بالإنكليزية:

1 - A Shi'ite creed.
2 - The Ismaili Law of Wills.
3 - Out Lines of Muhammadan Law.

ـ السيد بابار دودج ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

وُلد في ٥ شباط سنة (١٨٨٨م)، ودرس في جامعة برنستون سنة (١٩٠٩م)، وأخذ بالدراسات اللاهوتيّة (١٩١٣م)، وتقلّب في عدَّة جامعات؛ فنال الدكتوراه من جامعة برنستون ومن جامعة يال. عُيِّن أستاذاً للجامعة الأمريكية في بيروت من سنة (١٩١٣ ـ ١٩٢٣م) حيث أصبح عميدها، ثمّ أستاذاً زائراً بجامعة كولومبيا (١٩٤٩ ـ ١٩٥٥م)، ثمَّ أستاذاً محاضراً في جامعة برنستون (١٩٥١ ـ ١٩٥٥م).

نال على جهوده في سبيل الشرق والعرب أوسمة رفيعة من البلاد الشرقية والعربية من لبنان وسورية ومصر وإيران، ومنها وشاح أمية سنة (١٩٤٨م). ترجم الفهرست لابن النديم.

ـ السيد عبد الله كنون ـ مراكش الإسبانية:

نشر عدداً من الكتب والرسائل (عن مشاهير رجال المغرب):

١ ـ عثمان السلالجي.

٢ ـ ابن غازي.

٣ ـ ابن الونان.

٤ ـ ابن عبدوس المكناسي.

٥ ـ أبو بكر بن شديد.

٦ ـ ابن رشيد.

٧ ـ أبو موسى الجزولي.

وشارك في مجلة المجمع العلمي العربي بمقالات في النقد.

ـ السيد علاَّل الفاسيّ ـ مراكش:

شارك في طبع تاريخ ابن خلدون الكبير، ونشر منه الجزء الأوَّل مع

الفقيد الأمير شكيب أرسلان، ألَّف في تاريخ الحركات الاستقلالية بمراكش، نشر كتاباً هو (النقد الذاتي) في الأدب والفكر، ضلع في اللغة العربية من جامعة القرويين، واقف على الشريعة والفقه الإسلامي.

ـ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ـ تونس:

شيخ جامع الزيتونة وفروعه في تونس، حقّق ديوان بشار بن برد في جزأين اثنين، نشرهما في القاهرة وعليهما تعليقات مفيدة، ومقدّمة نافعة في حياة الشاعر، وقد شارك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بمقالات قيّمة (المرزوقي في شرح حماسة أبي تمّام).

الوثيقة الثانية:

الرقم: (٢١١).

حضرة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المحترم.

رأى المجمع العلمي العربي بدمشق في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنة (١٩٥٥م) أن ينتخبكم عضواً مراسلاً لما اتّصفتم به من العلم الجمّ والبحث الدقيق في الثقافة العربية، ولمساعيكم المشكورة في سبيلها. وطريقة المجمع في ذلك أن يستطلع رأي مَن يريد انتخابه قبل إنجاز المعاملة.

فالمرجوّ أن تتفضّلوا بإعلامي عن موافقتكم على ذلك لاستكمال معاملة انتخابكم، واستصدار مرسوم جمهوري بها. وبهذه المناسبة أرجو أن تتقبّلوا فائق التحية والاحترام.

دمشق في ١٧ كانون الأول سنة (١٩٥٥م).

رئيس المجمع العلميّ العربيّ

الوثيقة الثالثة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه .

حضرة الأستاذ خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربيّ! ورد عليّ كتابكم رقم (٢١١) تعلمونني فيه بأنَّ المجمع العلمي العربي بدمشق قرّر في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأوّل سنة (١٩٥٥م) انتخابي عضواً مراسلاً للمجمع . . . إلخ .

وأنا أشكر هيئة المجمع على شدّ هذه العروة للصلة بيني وبينكم . وأوافق على هذا الانتخاب .

وتقبّلوا فائق تحيّتي والإعراب عن وثيق مودّتي .

تحريراً في ١٩ جمادى الأولى وفي ٣ كانون الثاني سنة (١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م) .

محمد الطاهر ابن عاشور

الوثيقة الرابعة :

إلى وزارة المعارف

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة (١٩٥٥م) الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور (تونس) عضواً مراسلاً ، وهو من الأساتذة المعروفين بسعة الاطّلاع وخدمة الآداب العربية ، وقد استطلع المجمع العلمي رأيه في هذا الشأن ، فورد الجواب بالموافقة والرغبة ، فالمرجو أن تتفضّلوا بالموافقة على ذلك ، وتستصدروا مرسوم تعيينه المرسل درج هذا الكتاب .

دمشق في ٣١/ ١/ ١٩٥٦م

رئيس المجمع العلمي العربي

ثمَّ أحالت وزارة المعارف مشروع المرسوم المذكور أعلاه، وبعد صدوره أرسلت إلى المجمع العلمي العربي المرسوم وارداً عن طريق رئاسة المكتب الخاص في وزارة المعارف (رقم الحاشية: ٢٢٦) تاريخ ٢ شباط (١٩٥٦م)، ونصّ المرسوم:

الوثيقة الخامسة

المرسوم (٣٤٤)

إنَّ رئيس الجمهورية السورية

بناءً على المادة الرابعة من المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٤٧م.

وبناءً على المرسوم رقم (٢٣٥٠) تاريخ ١/ ١١/ ١٩٤٨م.

وبناءً على الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٥م.

وبناءً على اقتراح وزير المعارف.

يرسم ما يلي:

١ ـ يُعَيَّن الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور (تونس) عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

٢ ـ يُنشر هذا المرسوم ويُبلَّغ من يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق في ٣٠/ ١/ ١٩٥٦م.

وزير المعارف	رئيس مجلس الوزراء	صدر عن رئيس الجمهورية
مأمون الكزبري	سعيد الغزي	شكري القوتلي

الوثيقة السادسة :

المملكة التونسية ـ الجامعة الزيتونية بتونس   الحمد لله وحده

حضرة الأستاذ خليل مردم

رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

إجابةً لطلبكم المحتوي عليه كتابكم رقم (٢٩)، وجَّهت إليكم بضمان البريد طردَيْن مشتملين على ما ظفرت به من نسخ بعض تآليفي التي طبعت ووجّهت في ضمنها صورتي. وسأوافيكم بمقال لينشر في مجلة المجمع، ملتمساً المعذرة في تأخّر ذلك بوفرة الشواغل بشؤون الجامعة الزيتونية، وهي في سنة تطوّرها واتّساع برامجها، وتفضّلوا بإعلامي بوصول ذلك. وإليكم أطيب تحيّتي ووثيق مودّتي.

تحريراً في ٢٧ ذي القعدة وفي ٢٥ جوان سنة (١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م).

عضو المجمع العلمي العربي المراسل

وعميد الجامعة الزيتونية بتونس

محمد الطاهر ابن عاشور

الوثيقة السابعة :

رقم : (٤٩)

حضرة الأستاذ السيد محمد الطاهر ابن عاشور المحترم

نبعث إليكم مع هذه الرسالة بنسخة عن مرسوم انتخابكم عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق؛ راجين أن تبعثوا إلينا بنسختين من كلٍّ من مؤلّفاتكم مع ترجمة حياتكم، وصورتكم الشمسية، ومقالة

ننشرها في مجلّة المجمع العلمي العربي.

وتفضَّلوا بقبول فائق التحيّة والاحترام

دمشق في ٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٦م

رئيس المجمع العلمي العربي

الوثيقة الثامنة:

رقم (٢٣٨/ ص).

حضرة الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور عضو مجمع اللغة العربية بدمشق المحترم.

تحية طيبة، وبعد فإنَّ إضبارتكم الخاصة لدى مجمع اللغة العربية ما تزال خالية من ترجمتكم الشخصية المفصلة، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في كتاب سابق وُجِّه إلى الزملاء الأعضاء، فأجاب بعضهم ولم يُجبْ بعضهم الآخر.

فيرجى موافاتنا بترجمتكم المفصَّلة متضمّنةً كلّ المعلومات الخاصة بكم لتُضمّ إلى إضبارتكم مع صورتين شمسيتين متوسطتي القياس.

وتفضَّلوا بقبول الاحترام.

دمشق في ١٣/ ٦/ ١٩٧١م

مجمع اللغة العربية بدمشق

الرئيس

الدكتور حسني سبح

عضويته في مجمع اللغة العربية في القاهرة:

لم أجد في الكتب التي أصدرها (مجمع اللغة العربية في القاهرة) قراراً أو وثيقة تُثْبِتُ أنَّ الشيخَ محمد الطاهر ابن عاشور كان عضواً فيه[1]، بل إنَّ ابنه العلاَّمة محمد الفاضل ابن عاشور كان عضواً عاملاً في تونس؛ لكنَّ الشيخ محمداً الطاهر كان مشاركاً في بحوثه ودراساته بالمراسلة، ولم يكن الشيخ من أعضائه المراسلين؛ إذ إن قائمة الأعضاء المراسلين لم تتضمَّن أحداً من تونس إلا الأستاذ أبا القاسم محمد كرو والأستاذ محمد المزالي، وأمَّا ولدُه العلاّمة محمد الفاضل فقد كان عضواً عاملاً بموجب قرارٍ جمهوري صدر عام (١٩٦١م)، ثمَّ حلَّ محلَّه بعد وفاته الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، وذلك سنة (١٩٧١م)[2]. وقد أشار مترجموه[3] إلى أنَّه قُبِلَ عضواً في مجمع القاهرة سنة (١٩٥٠م)؛ وهو أمرٌ يجب التوقّف عنده. وقد أشرتُ إلى الأبحاث والمقالات التي قدَّمها إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة في القسم الثاني من الكتاب.

وقد قال إبراهيم مدكور رحمه الله: «كان ـ أي الفاضل ابن عاشور ـ يعتزّ باشتراك عضوين عاملين فيه، كان أحبَّ الناس إليه، وهما الخضر حسين، وحسن حسني عبد الوهَّاب، واشتراك والده أطال الله بقاءه، في

---

(١) الكتب التي رجعتُ إليها لتوثيق ما أقول من مطبوعات مجمع القاهرة:
١ ـ التراث المجمعي في خمسين عاماً، تأليف: إبراهيم الترزي.
٢ ـ المجمعيون في خمسين عاماً
٣ ـ مع الخالدين، تأليف: إبراهيم مدكور.
وقد اعتنت هذه الكتب بذكر أسماء أعضاء المجمع والترجمة لهم.

(٢) التراث المجمعي، ص٢١، ٢٤.

(٣) مثل: محفوظ: ٣/ ٣٠٨؛ وبلخوجة.

بحوثه وأعماله بالمراسلة»[1].

* * *

(١) مع الخالدين، ص١٥٣.

أقرانه

عايـش الإمام محمد الطاهر علماء أعلام من المبرِّزين في جـامع الزيتونة، وكانت تربطه بهم صلاتٌ علميّةٌ وأخويّة، أذكر ما تحصَّل لديَّ منهم من استقراء كتاب الأستاذ محمد محفوظ: (تراجم المؤلّفين التونسيين)[1]، و(المجلة الزيتونية)، وهم:

١ ـ محمد العزيز بن يوسف جعيط (ت١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م): علاَّمة كبير، مفتي تونس، شيخ جامع الزيتونة، له مؤلَّفات مطبوعة[2].

٢ ـ صالح المالقي.

٣ ـ محمد الخضر حُسين (ت١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م): زميله في الدراسة، وشيخ الجامع الأزهر، له مؤلَّفات كثيرة مطبوعة[3].

٤ ـ محمد بن يوسُف.

٥ ـ محمد النخلي (ت١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م): من أعلام جامع الزيتونة؛ كان هو والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يُشار إليهما بالرسوخ في العلم وسعة الاطّلاع، وجودة البيان مع الميل إلى آراء الشيخ محمد عبده[4].

---

(١) وذلك من مواضع كتابه المذكور أعلاه: ٣/ ١٩٦، ٤/ ٢٢٩؛ ٥/ ٢١٧.
(٢) محفوظ: ٢/ ٣٧.
(٣) محفوظ: ٢/ ١٢٦.
(٤) محفوظ: ٥/ ٢٦.

٦ ـ محمد الصادق النيْفر (ت١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م): محدّث، فقيه، مشارك، سياسيّ، خطيب[١].

٧ـ صالح الهواري.

٨ ـ عثمان بن المكي التوزَريّ (ت١٣٤٨هـ = ١٩٣٠م): قاض، مدرّس في جامع الزيتونة[٢].

٩ ـ علي الشنوفيّ (ت١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م)[٣].

١٠ ـ سعيد بن فطوش السطيفيّ[٤].

١١ ـ بلحسن النجار (ت١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م): فقيه كبير محقّق، من أعلام تونس في العصر الحديث[٥].

١٢ ـ محمد السلامي.

١٣ ـ الطيب السيالة.

١٤ ـ محمد البشير النيفر (ت١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، فقيه، مشارك في العلوم، عارف بالمخطوطات، وأستاذ زيتوني؛ باشر القضاء، والإمامة، والخطابة في الزيتونة[٦].

١٦ ـ محمد الجديد.

١٧ ـ عبد السلام التونسي.

---

(١) محفوظ: ٥/ ٧٩.
(٢) محفوظ: ٥/ ٢٦.
(٣) محفوظ: ١/ ١٩٧.
(٤) محفوظ: ٣/ ٢١٢.
(٥) محفوظ: ٥/ ١٥.
(٦) محفوظ: ٥/ ٦٧.

١٨ ـ عثمان ابن الخوجة.

١٩ ـ أحمد العياري وابنه عبد الواحد.

٢٠ ـ حمودة بن يحيى.

٢١ ـ الطيّب السبيعي.

٢٢ ـ صالح الكسرواني.

٢٣ ـ حميدة النيفر.

٢٤ ـ الصادق بن القاضي.

٢٥ ـ محمد الشاذلي بن القاضي: صاحب المجلّة الزيتونيّة، والمدرِّس بالجامع الأعظم، والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا.

٢٦ ـ محمد المختار بن محمود: كان مدرّساً بجامع الزيتونة الأعظم، والمدرسة الصادقيّة، والحاكم بالمجلس المختلط، والمفتي الحنفي بالديار التونسية في سنة (١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م).

٢٧ ـ الطاهر القصّار: مدير المجلّة الزيتونية.

محمد الخضر حسين وابن عاشور:

كان من أعزّ أقرانه إليه الشيخ الإمام محمد الخضر حسين الذي زامله في الزيتونة دراسةً، وتوجُّهاً فكريّاً؛ إذ انعقدت بينهما صداقة بدأت سنة (١٣١٧هـ = ١٨٩٩م)، كان يحوطها العلم والفكر، وتحمل في طيّاتها روح الصفاء ولهجَة الصدق، وكان في محطّات حياتهما كثير من التشابه؛ فالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تولّى مشيخة الجامع الزيتوني، وتولّى الشيخ محمد الخضر حسين مشيخة الجامع الأزهر، وهو أوَّل مَن يتولّى هذا المنصب من غير مصر، ومن مظاهر التشابه بينهما أنَّهما كانا من

المعتنين بالأدب إضافة إلى عنايتهما بالعلوم الشرعية، وكان ذلك نادراً بين أقرانهما، كما تولَّى الاثنان الردّ على الشيخ علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، كما دعا كلاهما إلى اعتماد الإصلاح والنظام الاجتماعي، فكتب محمد الخضر حسين (من رسائل الإصلاح)، وكتب ابن عاشور (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام).

وهذه العلاقة جسّدها الرجلان بقصائد ومراسلات. منها: أنَّه لمّا تولّى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التدريس في جامع الزيتونة سنة (١٣٢٣هـ) هنَّأه الشيخ محمد الخضر حسين بقصيدة من ستّة عشر بيتاً منها[1]:

مَسَاعِي الوَرَى شَتّى وُكلٌّ لَهُ مَرمى
ومسعى ابن عاشورٍ له الأمدُ الأسمى

فتىً آنَسَ الآدابَ أوّلَ نشئِهِ
فكانَت لهُ روحاً وَكَانَ لها جِسْما

وما أدبُ الإنسانِ إلا عوائدٌ
تَخُطُّ لهُ في لَوْحِ إحساسِهِ رَسْما

وَذِي خُطَّةُ التَّدريسِ توطِئَةٌ لأنْ
نَرَاهُ وَقِسْطاسُ الحقوقِ بِهِ يُحْمَى

رَجاءٌ كَرَأْيِ العينِ عندَ أُولي الحِجا
يُوافِيْهِ كالمَعْطوفِ بالفاءِ لاثُمّا

بَلَوْنا حُلى الألفاظِ في سِلْكِ نُطْقِهِ
فَلَمْ يُلْفِ صَافِي الذَّوْقِ في عَقْدِهَا جَشْما

---

(١) خواطر الحياة، ص٢٢٦، وهو ديوان شعر للشيخ محمد الخضر حسين.

وفي سنة (١٣٣٠هـ)؛ مرّت بالشيخ محمد الخضر حسين الباخرة التي كان يركبها أثناء رجوعه من الآستانة إلى تونس بالقرب من شاطئ المرسى، حيث كان يقيم صديقه الشيخ محمد الطاهر[1]؛ فقال:

قَلبي يُحَيِّيكَ إذْ مَرَّتْ سَفِينَتُنَا ... تُجَاهَ وَادِيكَ والأَمْوَاجُ تَلْتَطِمُ
تَحِيَّةً أَبرقَ الشَّوقُ الشَّدِيْدُ بِهَا ... في سِلْكِ وِدٍّ بأَقْصَى الرُّوحِ يَنْتَظِمُ

وبعد هجرة الشيخ محمد الخضر حسين إلى دمشق من تونس سنة (١٣٣١هـ) بعث صديقه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وهو قاضي القضاة بتونس رسالة مصدّرة بالأبيات التالية[2]:

بعدت ونفسي في لقاكَ تصيدُ ... فلمْ يُغنِ عَنْها في الحنانِ قصيدُ
وخلفت ما بين الجوانح غصَّةً ... لها بَينَ أحشاءِ الضُّلوعِ وقودُ
وأضْحَتْ أماني القُربِ منك ضئيلةً ... ومُرّ الليالي ضعفها سيزيدُ
أتذكرُ إذ ودَّعتنا صبحَ ليلةٍ ... يموجُ بها أنسٌ لنا وبرودُ
وهل كانَ ذا رمزاً لتوديع أُنسنا ... وهل بعد هذا البينِ سوفَ يعودُ
ألم ترَ هذا الدهر كيفَ تَلاعبَتْ ... أصابعُه بالدرِّ وهو نضيدُ
إذا ذكروا للودّ شخصاً محافظاً ... تجلّى لنا مرآك وهو بعيدُ
إذا قيلَ: مَن للعلمِ والفكرِ والتُّقى ... ذكرتُكَ إيقاناً بأنْكَ فريدُ
فقل لليالي: جددي من نظامِنا ... فحسبُكَ ما قد كانَ فهو شديدُ

وكتب ابن عاشور تحتها:

هذه كلماتٌ جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم، فأبثّها على علاّتها، وهي إنْ لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة؛ فإنَّ الودّ

---

(١) خواطر الحياة، ص٢٣١.
(٢) خواطر الحياة، ص٩٣.

والإخاء والوجدان النفسي يترقرق في أعماقها.

فأجابه محمد الخضر حسين بقصيدة من ثلاثة عشر بيتاً[1]؛ أذكر منها:

أَيَنْعَـمُ لـي بـالٌ وأنـتَ بعيـدُ ... وأسلـو بطَيْـفٍ والمنـامُ شـريـدُ
إذا أَجَّجَتْ ذِكْراكَ شوقي أُخْضِلَتْ ... لَعَمْرِي ـ بدمعِ المُقلَتينِ ـ خُدودُ
بَعُـدْتُ وآمـادُ الحيـاةِ كثيـرةٌ ... ولـلأمـدِ الأسمـى عَلـيَّ عُهـودُ
بَعُـدْتُ بجُثمـاني وروحـي رهينـةٌ ... لـديـكَ وللـودِّ الصَّميـمِ قُيـودُ
عرفتُكَ إذ زُرْتُ الوزيرَ[2] وقَدْ حَنا ... عَلَـيَّ بـإقبـالٍ وأنـتَ شَهيـدُ
فكانَ غروبُ الشَّمْسِ فجر صداقةٍ ... لهـا بيـنَ أحنـاءِ الضُّلـوع خُلـودُ
أَلَمْ تَرْمِ في الإصلاحِ عن قَوسِ ناقدٍ ... درى كيـف يُـرعـى طـارفٌ وتليـدُ
وقُمْتَ على الآدابِ تحمي قديمها ... مخـافـةَ أن يَطغـى عليـه جـديـدُ
أتـذكُـرُ إذ كُنَّـا نُبـاكـر معهـداً ... حُمَيَّـاهُ عِلْـمٌ والسُّقـاةُ أُسـودُ
أتـذكُـرُ إذ كُنَّـا قـرينَيْـنِ عِنْـدَمـا ... يَحِيْـنُ صُـدورٌ أو يَحيـنُ وُرودُ
فـأيـنَ ليـاليـنَـا وأسمـارُهـا التـي ... تُبَـلُّ بهـا عِنْـدَ الظَّمـاءُ كُبُـودُ
ليـالٍ قضينـاهـا بتـونُـسَ ليتَهـا ... تعـودُ وجيشُ الغـاصبيـنَ طَـريـدُ

وعندما بلغه تولّي صديقه ابن عاشور القضاء بتونس سنة (١٣٣٢هـ) هَنّأه بقصيدةٍ من ثلاثةَ عشرَ بيتاً، وكان يومها بدمشق، أذكر منها[3]:

بسط الهناء على القلوب جناحا ... فـأعـاد مُسْـوَدَّ الحيـاةِ صبـاحـا

---

(١) انظرها في خواطر الحياة، ص٩٣ ـ ٩٥.
(٢) الوزير: هو محمد العزيز بوعتّور، وقد مرَّ ذكره، وفي البيت إشارة إلى أول لقاء بين الخضر حسين وابن عاشور.
(٣) خواطر الحياة، ص٦٥ ـ ٦٦.

إيـه مُحَيّـا الـدهـر إنَّـكَ مـؤنِـسٌ   مـا افتـرَّ ثغـرُكَ بـاسِمـاً وضَّـاحـا
وتَعُـدُّ مـا أوحشتنـا فـي غـابـرٍ   خـالاً بِـوَجْنَتِـكَ المُضيئـة لاحـا
لولا سوادُ الليلِ ما ابتهجَ الفتى   إنْ آنَـسَ المصبـاحَ والإصبـاحـا
يا طاهرَ الهِمَمِ احتمَتْ بكَ خُطَّة   تبغـي هـدى ومـروءة وسمـاحـا
سحبـتْ رداءَ الفخـرِ واثقـةً بمـا   لـك مـن فـؤادٍ يعشقُ الإصلاحـا
ستشـدُّ بـالحـزمِ الحكيـمِ إزارَهـا   والحزمُ أنفسُ ما يكونُ وِشاحا
أنسـى ولا أنسـى إخـاءَكَ إذْ رمَـى   صرفُ الليـالـي بـالنَّـوى أشبـاحـا
أسلُو ولا أسلُو عُلاكَ ولو أتتْ   لبنـانُ تُهـدي نَـرجسـاً فيّـاحـا
أوَ لَـمْ نَكُـن كـالفـرقَـدَيْـنِ تقـارَنـا   والصَّفْـوُ يمـلأُ بيننـا أقـداحـا

ويلحظ القارئ لهذه الأبيات عظم المحبّة والمودّة التي نشأت بين هذين العَلَمَيْن التونسيين، بدءاً من عهد الطَّلَب، وانتهاءً بافتراق الرجلين كلّ منهما في قطر، وهي تشير إلى الاحترام وتقدير العلم عنده، ونزعة الإصلاح التي يميل إليها الشيخ الطاهر، ويشاركه فيها محمد الخضر حسين، وقد بلغ من مقدار حبّه له أنْ سأله بعض الأدباء: كيف كانت صلتكم بالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تونس؟ فأجابه بهذه الأبيات[1]:

أحببْتُـــهُ مِـــلْءَ الفُـــؤَادِ وَإنَّـمـــا   أحْبَبْـتُ مَـنْ مـلأَ الـوِدادُ فـؤادَهُ
فظفِرْتُ مِنْهُ بصاحِبٍ إنْ يَدْرِ مَا   أشْكُوهُ جافَى ما شَكَوْتُ رُقادَهُ
وَدَرَيْـتُ منه كما دَرَى مِنِّي فتى   عَـرَفَ الـوفـاءُ نجَـادَهُ وَوِهَـادَهُ

ويقول فيه[2]: ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كنّا نحضر دروس بعض الأساتذة جنباً لجنب، مثل درس الأستاذ الشيخ سالم بو حاجب لشرح القسطلاني على البخاري، ودرس الأستاذ الشيخ عمر

---

(١) خواطر الحياة، ص٩٠.
(٢) تونس وجامع الزيتونة، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

ابن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب المواقف، وكنت أرى شدّة حرصه على العلم، ودقّة نظره؛ متجلّيتين في لحظاته وبحوثه.

ويقول فيه: انعقدت بيني وبينه سنة (١٣١٧هـ) صداقة بلغت في صفائها ومتانتها الغاية التي ليس بعدها غاية، وصداقة بهذه المنزلة تقتضي أن نلتقي كثيراً، وأن يكون كلٌّ منّا يعرف من سريرة صاحبه ما يعرفه من سريرته، فكنتُ أرى لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقيّة من كلّ خاطر سيِّئ، وهمّة طمّاحة إلى المعالي، وجدّاً في العمل لا يمسّه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقلّ من إعجابي بعبقريته في العلم.

* * *

الخزانة العاشوريّة

تُعدُّ مكتبة آل عاشور من المكتبات الخاصة الشهيرة ليس في تونس وحسب، وإنَّما لدى الباحثين في العالم؛ إذ تنفرد بوجود أصولٍ فريدة، وقد قام بنشر بعضها الشيخ محمد الطاهر مثل: (ديوان بَشَّار بن برد)، وقد قدَّر اللهُ لي زيارة هذه المكتبة، ثلاث مرّات، كانت أولاها في حياة الأستاذ عبد الملك بن محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله الذي تفضَّل وأطلعني عليها؛ ويُقَدَّر عددُ الكتب فيها نحو خمسة آلاف كتاب؛ منها ألفا كتاب من المطبوع، ونحو ثلاثة آلاف كتاب مخطوط، وقد خُصِّصَ لها غرفةٌ كبيرة، امتدَّت أرففُ الكتب إلى دهليز يصل بينها وصالات البيت، ومَقَرُّها في ضاحية المَرْسَى، في قصرِ الإمام ابن عاشور، قرب العاصمة التونسيّة. ومن مخطوطاتها نسخة خزائنية من المصحف الشريف كُتِبَ في اثنتين وثلاثين صحيفة بخط مغربي، أي: في كلِّ صفحتين جُزءٌ؛ تختلف زخرفة كلِّ وجهٍ عن الآخر، وقد قامتْ بتصويرها بالألوان الشركة التونسيّة للنشر، ومن موجوداتها كتابا أبي العلاء المعرّي (معجز أحمد)، و(اللامع العزيزي)[1].

وتحفل كثير من كتب الخِزَانة بتعليقاتِ الشيخ محمد الطاهر وحواشيه وتقييداته، ولا عجب في ذلك، فقد كانت المأوى الهنيء له، والسَّكَن الذي ترتاحُ نفسه إليه، والمنهل الذي لا يضنُّ عليه بشيء من

---

(١) انظر (الفصل الثاني في التعريف بمؤلفاته) من هذا الكتاب؛ إذ صنّف ابن عاشور كتاباً عليهما (مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد واللامع العزيزي).

عطائه؛ ذلك أنَّ الإمام كان يشرف على تزويدها والعناية بها بنفسه، ويستقصي الكتب الفريدة والثمينة والمطبوعات الهامة ليزوّد بها مكتبته طيلة حياته[1].

وللمكتبة فهارسُ خاصّة بمحتوياتها، موضوعة تحت نظر القادم بكلّ ترحاب وبشاشة وضيافة، وعنها نسخة في دار الكتب الوطنيّة التونسية بسوق العَطَّارين في العاصمة التونسيّة.

ويقوم الآن على رعاية المكتبة: الدكتور محمد العزيز بن عبد الملك ابن محمد الطاهر ابن عاشور[2]، وما زالت مُلكاً لآل عاشور، لم يتمّ التصرّف فيها.

* * *

(١) مقالات الإمام، ص١٢.
(٢) سبق التعريف به في فقرة (زوجته وأبناؤه) من هذا الكتاب، ص٢٧.

رحلاته

لم يُؤْثَرْ عن الشيخ محمد الطاهر كَلَفُه بالرحلات، سوى ما ذكر مترجموه أنّه قام برحلات إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وإلى أوروبة، وإلى إستانبول؛ حيث شارك في مؤتمر المستشرقين سنة (١٩٥١م)[١].

والظاهرُ أنَّ المهام المُسندة إليه وأعباءه الوظيفية والعلمية والتعليمية كانت تؤثّر في ذلك.

والذي علمناه من المراجع التي استندتُ إليها في ترجمتي له أنَّه زار دمشق[٢]، وذلك عام (١٩٥١) م مع ابنه العالم الجليل الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور[٣]، وأقيم له حفل استقبال في دار العلاّمة الشيخ زين العابدين التونسي، في حيّ الميدان، شقيق الإمام محمد الخضر حسين، وأنشد بين يدَيه الأستاذ المحامي علي الرضا الحسيني ابن الشيخ زين العابدين التونسي، وهو أوّل شعر قاله في أيام الصبا، منها:

أنتِ يا تونسُ ليلى   وأنا في الحبِّ قيسُ
كلُّ ذِكرٍ عن حِماكِ   فَرَحٌ عندي وعُرسُ
لكِ في القلبِ مكانٌ   لم يطأهُ قبلُ إنسُ

---

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٥.

(٢) مقدّمة (مقالات الإمام)، ص٢٥.

(٣) (سيدي الوالد: زين العابدين بن الحسين التونسي)، تأليف علي الرضا الحسيني، ص١٦٧؛ وفيه نصّ رسالةٍ كتبها الشيخ زين العابدين إلى محمد الطاهر ابن عاشور.

أنـــتِ فـــي الـــدنيـــا مَنـــارٌ   وعلـــى العـــالـــمِ شمـــسُ
علّلينـــــــي بلقـــــــاءٍ   ليـــس فـــي وعـــدكِ بـــأسُ
يـــا (إمـــامـــاً) لـــكَ أشكـــو   حُبَّهـــا والحـــبُّ تعـــسُ
قـــد رمـــانـــي بسهـــام   لحـــظُ عينيهـــا ونَعْـــسُ
قُـــل لهـــا أنَّ فتـــاهـــا   صـــابَـــهُ فـــي الهَجْـــرِ بُـــؤْسُ
فمتـــى الـــوعـــدُ إليهـــا   ومتـــى المـــركـــبُ يَـــرْسُـــو

وأقامت جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة التي يرأسها الإمام محمد الخضر حسين للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وابنه العالم محمد الفاضل عند مرورهما بالقاهرة عائدين من الحجاز بعد أداء فريضة الحج، حفل تكريم حضرها جمع كبير من أفاضل العلماء، وأهل الفضل والأدب؛ وألقى الإمام محمد الخضر حسين خطاباً ترحيبياً به، نوّه به بمقام الأستاذ المحتفى به وما بينهما من صداقة بالغة، وتخلّص من هذا إلى الصلات الأدبية التي كانت تربط بين مصر وتونس من علماء وردوا مصر، واستقرّ بهم المقام بها مثل: ابن خلدون، وعلماء زاروها في طريقهم إلى أداء فريضة الحج وتلقى عنهم بعض علمائها دروساً مثل: ابن عرفة، وابن رشد القفصي[1].

وأما رحلته إلى إستانبول يقول ابنه محمد الفاضل ابن عاشور: «رحلتُ للاشتراك في مؤتمر المستشرقين عدّة مرّات؛ ولكنّ المرّة التي كنتُ فيها بصحبة والدي، هي التي انعقد فيها المؤتمر بإستانبول في سبتمبر (١٩٥١م)؛ وكانت رحلةً من غرر الحياة، فلم نكن نمثّل دولةً ولا منظّمةً، وكانت لنا فرصة لزيارة تلك المدينة التي هي أمُّ التاريخ الحديث

---

(١) مجلة الهداية الإسلامية: مج٧، ج٧؛ (مقالات الإمام)، المقدّمة، ص٣١.

ومجلى الجمال الساحر، ومجمع الكنوز النفيسة من المعالم والآثار والكتب»[1].

* * *

---

(١) الغالي، ص٦٦.

أوّلياته

اعتنى الأوّلون بالتصنيف بالأوائل، مثل: أبي هلال العسكري، والجراعي، والسيوطي، وللشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أوّليات تستحقّ الوقوف عندها، والإشارة إليها، وهي مظهر من مظاهر تميّز المترجم رحمه الله؛ وهذا ما تيسَّر لديّ جمعه؛ من ذلك أنّه:

١ ـ أوّل مَن فسَّر القرآن كاملاً في إفريقيّة، وذلك في كتابه العظيم (التحرير والتنوير)؛ وإفريقيّة اسم يشمل البلاد التونسية وما حولها، وتحديداً ما بين برقة وطنجة، وقد يطلقها البعض على القيروان كونها كانت مقرّ الإمارة، وقد سبقه إلى ذلك يحيى بن سلاّم القيرواني (ت٢٠٠هـ = ٨١٥م)، الذي صنَّف كتاب (التصاريف) وهو تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرَّفت معانيه، أي: في الوجوه والنظائر[١]. غير أنَّ التفسير الكامل للقرآن الكريم كان على يد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، فقد ادّخر الله هذا الفضل له ليتوَّجَهُ به. وقد أخبرني بذلك السيد الحبيب الجلولي، ابن أخت الشيخ محمد الطاهر، أحد وجهاء الحاضرة التونسية، الحافظين لتراثها وتاريخها.

٢ ـ وهو أوّل مَنْ جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

---

(١) حققته الدكتورة الفاضلة الأستاذة هند شبلي، ونشرته الشركة التونسية للتوزيع بتونس سنة (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م).

٣ ـ وهو أوَّل مَنْ سُمِّي شيخاً للجامع الأعظم سنة (١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) ليتولَّى الإصلاحات العلمية والتعليمية، فكان أوّل شيخ لإدارة التعليم بجامع الزيتونة عوضاً عن النظارة[١] التي كانت هي المسيّرة للتعليم به[٢].

٤ ـ وأوَّل مَنْ لُقِّبَ بشيخ الإسلام، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب.

وقد أُطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكية بصفة رسمية عليه[٣].

٥ ـ وهو أوَّل مَنْ تقلَّد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسية ونال وسام الاستحقاق الثقافي سنة (١٩٦٨م)، وهو أعلى وسام ثقافي قررت الدولة التونسية إسناده إلى كلّ مفكّر امتاز بإنتاجه الوافر ومؤلّفاته العميقة الأبحاث، ودعواته الإصلاحية ذات الأثر البعيد المدى في مختلف الأوساط الفكرية[٤].

وحصل على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي (١٩٧٢م و١٩٧٣م)[٥].

٦ ـ وهو أوَّل مَنْ أحيا التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا

---

(١) النظارة: هي الهيئة المشرفة على التعليم.
(٢) مقدمة عبد الملك ابن عاشور لكتاب: (أليس الصبح بقريب)، ص٣.
(٣) الغالي، ص٦٢.
(٤) الغالي، ص٦٨.
(٥) مقدمة (مقالات الإمام)، ص١٢.

الحالي بعد العزّ بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) والشاطبي (ت٧٩٠هـ).

٧ ـ وهو أوّل مَن أدخل إصلاحات تعليميّة وتنظيميّة في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية، صاغها في كتابه: (أليس الصبح بقريب) الذي كان شاهداً على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود.

فأضاف إلى الدراسة موادّ جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر[١] وغيرها، وأكثر من دروس الصرف، ومن دروس أدب اللغة، وشَرَع بنفسه في تدريس ديوان الحماسة[٢]، ولعلّه أول مَن درّس ذلك في الزيتونة.

* * *

---

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٥.

(٢) تونس وجامع الزيتونة، ص١٢٤.

أخلاقه وشمائله وثناء الناس عليه

كان الشيخ رحمه الله رجلاً تزيّنه أخلاق رَضِيَّة وتواضعٌ جمٌّ، فلم يكن على سعة اطّلاعه وغزارة معارفه مغروراً كشأن بعض الأدعياء ممن لم يبلغ مستواه. كان مترفّعاً عن صغائر الأمور. إنْ نظرتَ إليه، لم تقل إلا إنَّه رجلٌ من النبلاء؛ جمع بين النبل في الحَسَب والنَّسب، والنبل في العلم والأخلاق. حتى قال فيه الشيخ محمد الخضر حسين: «ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم»[1].

اشتهر رحمه الله بالصبر، وقوّة الاحتمال، وعلوّ الهمّة، والاعتزاز بالنفس، والصمود أمام الكوارث والترفّع عن الدنايا، تراه في كتاباته عفيف القلم، كاتباً حلو المحاضرة، طيب المعاشرة مع تلاميذه. حتى إنّني لم أجد بين كتاباته التي اطّلعتُ عليها ردّاً على أحد ممّن وقف ضدَّه موقف الخصم، بل أسبغ على كتاباته طابع العلم الذي يجب أن يبلِّغه، لا مَظْهَرَ الردودِ التي تضيّع أوقات طالب العلم.

يقول فيه صديقه في الطلب الشيخ محمد الخضر حسين[2]: «شبَّ الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعية وقّادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم».

ويقول فيه: «وللأستاذ فصاحة منطق وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر صفاء الذوق وسعة الاطّلاع في آداب اللغة، وأذكر

---

(١) تونس وجامع الزيتونة، ص١٢٥؛ محفوظ: ٣/ ٣٠٦ـ٣٠٧.
(٢) تونس وجامع الزيتونة، ص١٢٥ ـ ١٢٦.

أنّه كان يوماً في ناحية من جامع الزيتونة ومعه أديبان من خيرة أدبائنا، وكنتُ أقرأ درساً في ناحية أخرى من الجامع، فبعث إليَّ بورقة بها هذان البيتان:

تــألَّقَــتِ الآدابُ كــالبــدرِ فــي السَّحَــرِ
وقــد لفــظ البحــران مــوجهمــا الــدرر
فمــا لــي أرى منطيقهــا الآن غــائبــاً
وفــي مجمــع البحــريــن لا يُفقــدُ (الخضــر)

وقد وصف ابن عاشور نفسه بقوله: ولا آنَسُ برفقة ولا حديث أُنْسي بمسامرة الأساتيذ والإخوان في دقائق العلم ورقائق الأدب، ولا حُبِّبَ إليَّ شيء ما حُبّبت إليّ الخلوة إلى الكتاب والقرطاس متنكّباً كلَّ ما يجري من مشاغل تكاليف الحياة الخاصة، ولا أعباء الأمانات العامة التي حُمِّلتُها فاحتملتُها في القضاء وإدارة التعليم حالت بيني وبين أنسي في دروسٍ تضيء منها بروق البحث الذكي، والفهم الصائب، بيني وبين أبنائي الذين ما كانوا إلاّ قرّة عين وعدّة فخر، ومنهم اليوم علماء بارزون، أو في مطالعة تحارير أخلص فيها نجيّاً إلى الماضي من العلماء والأدباء الذين خلَّفوا لنا آثارهم الجليلة ميادين فسيحة ركضنا فيها الأفهام والأقلام مرامي بعيدة سدَّدنا إليها صائب المهام[1].

ووصفه أحدهم فقال: رأيتُ فيه شيخاً مهيباً يمثّل امتداداً للسلف الصالح في سمته، ودخل في عقده العاشر ولم تنل منه السنون شيئاً.. قامة سمهرية خفيفة اللحم، وعقلية شابة ثرية بحصيلتها، وقلب حافظ أصاب من علوم القدماء والمحدثين، ولسان لافظ يقدر على الخوض في

---

(١) محفوظ: ٣٠٦/٣، من الكلمة التي ألقاها يوم إسناد جائزة الرئيس بورقيبة له.

كلّ شيء من المعارف، وذهن متفتّح يشقّق الحديث روافد مع وقار يزيّنه، وفضل يبيّنه، وأخلاق وشمائل حسنة تهش للأضياف وترحّب بالوارد، وتعطى في عمق لمن يريد الاغتراف من بحر كثرت مياهه، وقد ازدحمت العلوم فيه[1].

ووصفه الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة فقال: كان فريداً مع تقدّم السنّ في حضور واستحضار ما يُسأل عنه من مسائل؛ أذكر أنّني طلبتُ منه ذات يوم من شهر أوت [أغسطس ـ آب] (١٩٦٣م) بعد أن جلستُ إليه في زيارتي له بعد العصر عن وجه إعراب خفي عليّ، فإذا الإمام رحمة الله عليه يفيض في بيان ذلك ويشرح الوجوه المختلفة فيستشهد بما أوردهُ ابن هشام في (المغني) وفي (التصريح)، وكأنَّه يقرأ في كتاب، وكذلك كان شأنه في كلٍّ ما يُسأل عنه من قضايا العلم اللغوي أو الشرعي، كان خزانة علم تنتقل يجد لديه كلّ طالب بغيته، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة فيه اشتغاله المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صحة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان. والشيخ صبور على المحن، فلم يشكُ من أحد؛ رغم الحملات التي أُثيرت ضدّه؛ ولم أعثر في نقده العلمي على ما يمسُّ الذوق أو يخدش الكرامة، عفّ اللسان، كريم، مُحِبٌّ لأهل العلم ولطلبته ولمن كان أهلاً للمحبّة.

وكان في مناقشاته العلمية لا يجرح أحداً ولا يحطّ من قدره، فإذا لاحظ تهافتاً في الفكر لمَّح إلى ذلك تلميحاً؛ ولم أجد في خصوماته الفكرية ما يمسّ شخصية أحد قطّ. ورغم الحملات التي شُنَّت ضدّه في

---

(١) الغالي، ص٥٣، نقلاً عن محمد مسعود جبر، مجلة جوهر الإسلام، عدد (١)، السنة ١٩٣٦م، ص٥٦.

فتوى التجنّس وغيرها لم ينزل عن المستوى الخلقي الذي يتّصف به العلماء، بل لم يُشِرْ إلى خصومه، ولم يشكُ منهم قطّ[1].

وأمّا عاداته ومعاملاته؛ فكان الشيخ كثير الإحسان إلى مساعديه مِن المستكتبين والعَمَلة، ومن عاداته عدمُ تناول وجبة العشاء، فإذا حضر مأدبة تظاهر بالأكل مجاملةً[2].

قال داغر: «امتاز إلى جانب علمه ودأبه ومعرفته الواسعة وتحرّره الفكري، بالتواضع والنفس الخيّرة والعقل الراجح والتدبير القويم»[3].

يقول فيه الدكتور محمد الحبيب بلخوجة: «هو نمطٌ فريد من الأشياخ لم نعرف مثله بين معاصريه أو طلابه أو من كان في درجتهم من أهل العلم. إذ كان انكبابه على الدَّرس متميّزاً، واشتغاله بالمطالعة غير منقطع، مع عناية دائمة مستمرّة بالتدوين والكتابة، وتقديم ما يحتاجُ إليه الناس من معارف وعلوم، وأذواق وآداب، وملاحظات وتأمّلات؛ فلا بدع إذا اطّرَدَتْ جهودُه واستمرّ عطاؤه في مختلف مجالات الدرس والثقافة، في حقول المعرفة الشرعيّة والدينيّة، وفي الدراسات اللغوية، وفي معالجة أوضاع التعليم بالزيتونة، والعمل على إصلاحها، مع ذبّه عن الإسلام أصوله وآدابه، وتطلّعه كلّ يومٍ إلى مزيدٍ من المعرفةِ بكلّ ما يمكن أن يقع تحت يده من كتب فريدة، ومخطوطات ومصنّفات في شتّى العلوم والفنون.

وقد وهبه الله متانة علمٍ، وسعة ثقافة، وعمق نظر، وقدرة لا تفتر

---

(١) الغالي، ص٦٣، نقلاً عن مقالة لابن الخوجة في مجلة جوهر الإسلام، العدد (٣)، السنة ١٩٧٨م، ص٢١.
(٢) الغالي، ص٦٤.
(٣) مصادر الدراسة الأدبية، قسم ١ : ٣/ ٥٧.

على التدوين والنشر، وملَكات نقديّة يتّضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرّفات. وهكذا صدرت مقالاته وتحقيقاته وبحوثه وتآليفه متدفّقة متوالية من غير انقطاع أو ضعف، فنُشِر ما نُشِرَ، وبقي الكثير منها محفوظاً بخزانة آل عاشور ينتظر من يتولّى نشره وطبعه وتحقيقه»[1].

وكان لابن عاشور والأديب المؤرّخ أحمد تيمور ذِكْرٌ حسن في قلب محمد الخضر حسين الصديق القريب إليهما؛ ومن شعره فيهما:

تقاسَمَ قلبي صاحبانِ ودِدْتُ لو ... تملّتْهما عيناايَ طولَ حياتي
وعلّلْتُ نفسي بالمُنى فإذا النّوى ... تُعِلُّ الحَشا طَعْناً بغيرِ قناةِ
(فأحمدُ) في مصرٍ قضى و(محمدٌ) ... بتونسَ لا تحظى به لَحَظاتي
أعيشُ ومِلْءُ الصَّدْرِ وحشةُ مترفٍ ... رَمَتْهُ يدُ الأقدارِ في فلَواتِ

وقال فيه الشاعر محمد الحليوي[2]:

عَلَمٌ يَعِزُّ نظيرُهُ في دهرِه ... هَيْهاتَ، ليسَ نظيره بمتاحِ
عَلَمٌ تَجَمَّعَ علمُه في شخصِهِ ... كتجمُّعِ الأضواءِ في المصباحِ
ما ضرَّ من أضحى يعيش بعصرِهِ ... إنْ لم يَشاهد (مالكاً) في السَّاحِ

وقال فيه الشاعر محمد بوشربية:

شيخي، لأنتَ عن المشايخ في غنىً ... بالجِدِّ في المسعى، وفي أشغالِ
إنْ أُبدِ فضلَكُم، فما أنا مُدَّعٍ ... أمراً يناكرُه حسودٌ قالِ

---

(١) بلخوجة، ص١٩١؛ وفي (المجلة الزيتونية) مج٦، ج٢ و٣ و٨، قصائد في مدح المترجَم.

(٢) مقدمة (مقالات الإمام)، ص٣٩. والأبيات التالية هي لشعراء تونسيين.

جمعت بك الأهواءُ فالتفَّت على رشـدٍ، وإصـلاحٌ زهـا بخصـالِ
رُمِيتْ مقـادتُهـا إليـك، فجئتَهـا بالفوزِ يسعى في هدى وجلال

وقال الشاعر الهادي المدنيّ:

لـكَ اللهُ يا تـاجَ الأسـاتيذِ حافـظٌ وللبيـتِ ربٌّ حـافـظٌ لـه كـافلُـه
أتيـتَ، وبيـتُ اللهِ فـي وثبـاتِـهِ وبالكَفِّ عَضْبٌ للنُّهى أنتَ حامِلُه
تنـاشـدُه أن يستـردَّ فخـارَه وتبحـث عـن أدوائِـه، وتُسـائِلُـه
وناضَلْتَ بالإيمانِ عنه، وبالنُّهى وبالعزمِ مشبوب القَنَا، مَنْ يُناضِلُه
بَثَثْـتَ بـأرجـاءِ البـلادِ فـروعَـهُ ففـاضَـتْ بـأرجـاءِ البـلادِ مناهلُـه
وشَيَّدْتَ للأخلاقِ صرحاً ممرّداً وصرحاً من العقلِ الرَّصينِ يُقابلُه
فأبلغْ حِمَىٰ الإسلامِ ما هو آمِلٌ وأبلـغْ فتـى الإسـلامِ مـا هـو آمِلُـه
وأطلـقْ لسـانـي مـن عقـالِـهِ إنّني كتَالٍ على التاريخِ ما هو جاهِلُه
وفتح لهاتي يا ابن عاشور أنّني أنا الطائرُ الحاكي لما أنتَ فاعلُه

* * *

وفاته

توفّي رحمه الله عن أربع وتسعين سنة في ضاحيــة المَرْسَــى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد ١٣ رجب (١٣٩٤هـ) الموافق ١٢ آب ـ أغسطس (١٩٧٣م)، ووُري الثّرى رحمــه الله بمقبرة الزلاّج من مدينـة تونس[1]. وبموته ودَّعَتْ تونس أبرز شخصية علميّة عرفتها في القرن الرابع عشر الهجري.

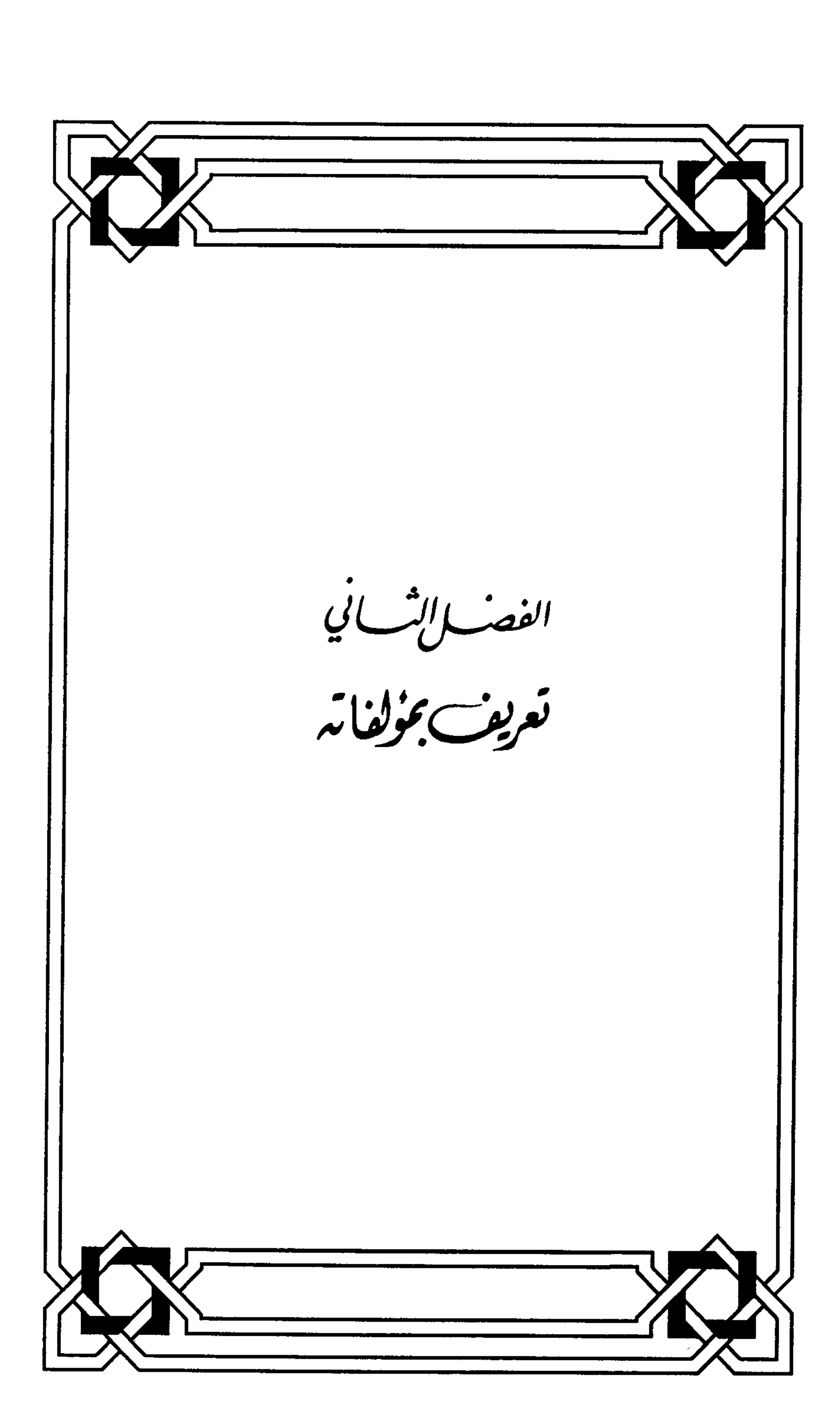
رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فراديس جنّاته.

* * *

---

(١) بلخوجة، ص٨٧؛ الغالي، ص٦٨.





الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

مؤلَّفات الإمام

محمد الطاهر ابن عاشور

إنَّ المؤلَّفات والتحقيقات التي تميّز بها ابنُ عاشور تُفصح عن نُضوجٍ علميٍّ ومعرفي، وعن فكرٍ نَيِّرٍ اتَّصف بمعالجة علميّة رصينة، وأسلوبٍ بلاغيٍّ رفيع، مثل ما اتَّسَم في كثير من الأحيان.

لقد تنوَّعت آثار الإمام، من حيث موضوعاتها، فألَّف في التفسير، والحديث، والأصول، والأدب، واللغة، والتاريخ، والتراجم، كما كتب في الدراسات الإسلامية، التي تدلّ على أُفُق بعيد وفهم عميق.

كما كتب مقالات في عددٍ من الدوريات من صحف ومجلاّت في تونس، والقاهرة، ودمشق.

ولقد قسّمتُ آثاره إلى كتبٍ سواء كانت مطبوعة أم مخطوطة، وإلى **مقالات**، إذ تتبَّعتُ ما كتبه في (المجلة الزيتونية)، و(مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق)، و(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، و(مجلة الهداية الإسلامية) القاهريّة، ولم أتتبّع ما كتب في سواها بسبب عدم توافرها تحت يدي.

* * *

ثَبَتٌ هجائي بمؤلَّفات الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور

ظَهَرَ لي في استقصاء مؤلَّفات الشيخ محمد الطاهر أنَّ له نحو أربعين كتاباً تأليفاً وتحقيقاً؛ شَطْرُها لم يُطبَع بعد، وقد أشرتُ في دراستي إلى المطبوع والمخطوط منها:

١ ـ آراء اجتهادية.

٢ ـ أصول الإنشاء والخطابة.

٣ ـ أصول التقدّم في الإسلام.

٤ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

٥ ـ أليس الصبح بقريب.

٦ ـ الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجانيّ.

٧ ـ الأمالي على مختصر خليل.

٨ ـ تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.

٩ ـ تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب لابن السِّيْد البطليوسي.

١٠ ـ تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدّمة في النحو.

١١ ـ تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنّة.

١٢ ـ تعليقات وتحقيق على حديث أمّ زرع .

١٣ ـ تراجم بعض الأعلام .

١٤ ـ التعليق على المطوَّل بحاشية السيالكوتي .

١٥ ـ تفسير التحرير والتنوير .

١٦ ـ جمع وشرح ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس .

١٧ ـ حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول .

١٨ ـ ديوان بشار بن برد .

١٩ ـ ديوان النابغة الذبياني .

٢٠ ـ سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسَّام النحوي .

٢١ ـ شرح ديوان الحماسة .

٢٢ ـ شرح معلّقة امرئ القيس .

٢٣ ـ شرح المقدّمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام .

٢٤ ـ غرائب الاستعمال .

٢٥ ـ الفتاوى .

٢٦ ـ قصة المولد النبوي الشريف .

٢٧ ـ قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلَّق .

٢٨ ـ قضايا وأحكام شرعيّة .

٢٩ ـ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح ابن خاقان.

٣٠ ـ كتاب تاريخ العرب.

٣١ ـ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.

٣٢ ـ مراجعات تتعلّق بكتابي معجز أحمد واللامع العزيزي.

٣٣ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية.

٣٤ ـ موجز البلاغة.

٣٥ ـ النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.

٣٦ ـ نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق.

٣٧ ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصبهاني.

٣٨ ـ الوقف وآثاره في الإسلام.

* * *

أولاً: آثاره في علوم القرآن

تفسير التحرير والتنوير

سبق أن بيَّنَّا أنَّ هذا التفسير هو أوَّل تفسير كامل للقرآن الكريم يُصنَّف في إفريقيّة (تونس) على مرّ التاريخ[١]. وقد سمَّاه مؤلّفه (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب الجديد)، واختصره باسم (التحرير والتنوير من التفسير).

ووجه اهتمامه في تفسيره هذا بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتمّ أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا يراه حقّاً على المفسّر[٢].

وأما مصادره، وما فتحه الله عليه في التفسير، فقد بيَّنها في فاتحة تفسيره بقوله:

«والتفاسيرُ وإن كانت كثيرة فإنَّك لا تجد الكثير منها إلاَّ عالة على كلام سابق بحيث لاحظَّ لمؤلّفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإنَّ أهمَّ التفاسير: (تفسير الكشاف) للزمخشري، و(المحرّر الوجيز) لابن عطية، و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، و(تفسير

---

(١) انظر فقرة (أوّلياته). و(إفريقية): تُطلَق على ما بين برقة وطنجة. (تونس وجامع الزيتونة)، ص٧٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١/٨.

البيضاوي) الملخّص من (الكشاف) ومن (مفاتيح الغيب) بتحقيق بديع، و(تفسير الشهاب الآلوسي)، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني على (الكشاف)، وما كتبه الخفاجي على (تفسير البيضاوي)، و(تفسير أبي السعود)، و(تفسير القرطبي)، والموجود من (تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي) من تقييد تلميذه الأبيّ، وهو بكونه تعليقاً على (تفسير ابن عطية) أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، و(تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري)، وكتاب (درّة التنزيل) المنسوب لفخر الدين الرازي، وربّما يُنسب للراغب الأصفهانيّ، ولقصد الاختصار أُعرض عن العزو إليها.

وقد ميّزتُ ما يفتح الله لي من فهم معاني كتابه، وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسّرون، وإنّما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يديّ من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولستُ أدَّعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلّم، وكم من فهمٍ تستظهره وقد تقدّمك إليه متفهّم».

ومنهجه في التفسير أوضحه في مقدّمته، ولا سيّما عنايته بفنّ دقائق البلاغة الذي لم يخصّه أحد من المفسّرين بكتاب كما خصّوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزم ألا يُغفِلَ التنبيه على ما يلوح له من هذا الفن العظيم في آيـة من آي القرآن، كلّما ألهمـه الله ذلك بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبّر، مع بيان وجوه الإعجاز، وتناسب الآيات، ولم يُغادِر سورة إلا بيّن ما أُحيط بها من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن ـ كما يقول ابن عاشور ـ مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنّها فقر متفرّقة تصرفه عن روعة انسجامه، وتحجب عنه روائع جماله.

كما اهتمَّ بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبطٍ وتحقيقٍ

مما خلت عن ضبط كثيرٍ منه قواميسُ اللغة، وبذل الجهد في الكشف عن نكت من معانـي القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسـير، ومن أسـاليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير ـ كما يقول ـ على اختصـاره مطوّلات القماطيـر، ففيه **أحسـنُ ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير**[1].

ومدّة تأليفه التفسير حوالي أربعين سنة، بدأ به في سنة (١٣٤١هـ = ١٩٢٣م)، وهي سنة تعيينه مفتياً، وعمره خمس وأربعون سنة، وانتهى منه عصر يوم الجمعة، الثاني من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمئة وألف؛ فكانت مدّة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر[2]، وقد بدأ بنشره على حلقات في (المجلة الزيتونية) كما بيّنّاه.

وقد وضع بين يدي التفسير عشر مقدّمات:

المقدّمـة الأولى: فـي التفسـير والتأويل وكـون التفسـير علمـاً، **والثانية**: في استمداد علم التفسير، **والثالثة**: في صحـة التفسـير بغيـر المأثـور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه، **والرابعة**: فيما يحقّ أن يكـون غرض المفسّر، **والخامسة**: في أسباب النزول، **والسادسة**: في القراءات، **والسابعة**: في قصص القرآن، **والثامنة**: في اسم القرآن وآياته وسـوره وترتيبها وأسمائها، **والتاسعة**: في أنَّ المعاني التي تتحمَّلها جمل القرآن تعتبر مرادة بها، **والعاشرة**: في إعجاز القرآن.

ويحفلُ تفسيره بضروب من التفسـير والتأويل والفهم لمقاصد القرآن العظيم، مما يعزّ وجوده في غيـره، ويتفرّد بـه عن غيره. فَنَلْحَظُ

---

(١) مقدّمة (تفسير التحرير والتنوير): ١/ ٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٦.

إثباته لاستقراء آيات الله عزَّ وجلّ؛ كقوله: «... المقاصد الأصليّة التي جاء القرآن لتبيانها... **بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا**. . ثمانية أمور»[1]، ثم ذكرها مشروحةً.

ويقول في موضع آخر: «**وقد تتبَّعتُ أساليب** من أساليب نظم الكلام في القرآن فوجدتُها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١]، فإبدالُ (رسولاً) من (ذكراً) يفيد أنَّ هذا الذكر ذكر هذا الرسول، وأنَّ مجيء الرسول هو ذكرهم، وأنَّ وصفه بقوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾يفيد أنَّ الآيات ذِكْرٌ. ونظير هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ١ ـ ٢]...»[2].

ويقول: «**وقد استقريتُ بجُهدي** عادات كثيرة في اصطلاح القرآن سأذكرها في مواضعها، ومنها أنَّ كلمة **هؤلاء** إذا لم يَرِدْ بعدها عطف بيان يبيّن المشار إليهم، فإنّها يُراد بها المشركون من أهل مكة؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٩]، وقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[الأنعام: ٨٩]، وقد استوعب أبو البقاء الكفوي في كتاب (الكليات) في أوائل أبوابه كلّيات مما ورد في القرآن من معاني الكلمات، وفي (الإتقان) للسيوطي شيء من ذلك[3].

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٣٩.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٢٣.

(٣) إنَّ معرفة الإمام بمحتوى كتاب (الكلّيات) الذي طُبع وكان طبعة نادرة في عصر ابن عاشور، إذ إنه من المطبوعات الهندية الحجرية؛ يدلّنا على مدى عناية الإمام بالكتب وتتبّع النادر منها، وهو ما نلحظه في كتبه، وأما السيوطي في (الإتقان) فقد ذكر ما سُمِّيَ على هذه الشاكلة (أفراد القرآن).

وقد استقريتُ أنا من أساليب القرآن أنه إذا حكى المحاورات والمجاوبات حكاها بلفظ «قال» دون حرف العطف، إلا إذا انتقل من محاورة إلى أخرى؛ انظر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] إلى قوله: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣][1]. وقوله: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].. أي: التقديم إذا اقترن بالفاء كان مبالغة؛ وأحسبُ أنَّ مثل هذا التركيب من مبتكرات أساليب القرآن ولم أذكر أنّي عثرتُ على مثله في كلام العرب»[2].

وأمّا فقهه للنصّ القرآني من حيث سبب النزول؛ فمثلُ قوله بعد كلام طويل عن سبب نزول سورة البقرة:

«وإذ قد كان نزول هذه السورة في أوّل عهدٍ بإقامة الجامعة الإسلامية، واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم؛ كان من أوّل أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح، سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقيّة من شوائب الدَّجَل والدَّخَل»[3].

ويسلك ابن عاشور مسلك المتذوّق لبلاغة القرآن، فعندما يبحث في موضوع البسملة يقول: «... وأنا أرى في الاستدلال بمسلك الذوق العربي أن يكون على مراعاة قول القائلين بكون البسملة آية من كلّ سورة، فينشأ من هذا القول أن تكون فواتح سور القرآن كلّها متماثلة، وذلك مما لا يحمد في كلام البلغاء؛ إذ الشأن أن يقع التفنّن في الفواتح، بل قد عَدَّ

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١٢٥.
(٢) المصدر السابق: ١/ ٤٥٦.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٠٢.

علماء البلاغة أهمَّ مواضع التأنّق فاتحة الكلام وخاتمته، وذكروا أنَّ فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البيان وأكملها، فكيف يسوغ أن يُدَّعَىٰ أنَّ فواتح سوره جملةٌ واحدة، مع أنَّ عامة البلغاء من الخطباء والشعراء والكُتَّاب يتنافسون في تفنّن فواتح منشآتهم، ويعيبون من يلتزم في كلامه طريقةً واحدة، فما ظنّك بأبلغ كلام؟!».

ثم ذكر حجة الشافعي ومَن وافقه بأنَّها آية من سورة الفاتحة خاصّة وردّ عليها.. يقول: «والحقّ البيِّن في أمر البسملة في أوائل السور، أنَّها كُتبت للفصل بين السور ليكون الفصل مناسباً لابتداء المصحف، ولئلا يكون بلفظ من غير القرآن، وقد روى أبو داود في سننه والترمذيّ وصحّحه عن ابن عباس أنَّه قال: قلتُ لعثمان بن عفّان: ما حملُكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين، وإلى الأنفال وهي من المثاني، فجعلتموها في السبع الطوال، ولم تكتبوا بينهما سطراً: بسم الله الرحمن الرحيم، قال عثمان: كان النبيُّ لما تنزَّل عليه الآيات فيدعو بعض مَن كان يكتب له ويقول له: ضع هذه الآية بالسورة التي يذكر فيها كذا وكذا، أو تنزل عليه الآية والآيتان، فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أوّل ما أُنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما أُنزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فَقُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يبيّن لنا أنّها منها، فظننتُ أنّها منها، فمن هناكَ وضعتُها في السبع الطوال ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم».

«وأرى في هذا دلالة بيّنة على أنَّ البسملة لم تكتب بين السور غير الأنفال وبراءة إلا حين جُمع القرآن في مصحف واحد زمن عثمان، وأنَّها لم تكن مكتوبة في أوائل السور في الصحف التي جمعها زيد بن ثابت في خلافة أبي بكر؛ إذ كانت لكلّ سورة صحيفة مفردة»[1].

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١٤٤.

ومن المباحث التي أوردها التي تدلّ على تضلّعه في القراءات والعربية والعَروضِ خاصةً، في كلامه على ﴿هو﴾ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: «وقرأ الجمهور هاء ﴿وهو﴾ بالضمّ على الأصل، وقرأها قالون وأبو عمرو والكسائيّ وأبو جعفر بالسكون للتخفيف عند دخول حرف العطف عليه، والسكون أكثر من الضمّ في كلامهم، وذلك مع الواو والفاء ولام الابتداء، ووجهه أنَّ الحروف التي هي على حرفٍ واحدٍ إذا دخلت على الكلمة تنزّلت منزلة الجزء منها، فصارت الكلمة ثقيلة بدخول ذلك الحرف فيها؛ فخففت بالسكون، كما فعلوا ذلك في حركة لام الأمر مع الواو والفاء، ومما يدلّ على أنَّ أفصح لغات العرب إسكان الهاء من ﴿هو﴾ إذا دخل عليه حرف أنك تجده في الشعر فلا يتّزن البيت إلا بقراءة الهاء ساكنة، ولا تكاد تجد غير ذلك بحيث لا يمكن دَعوى أنّه ضرورة»[1].

ويميلُ ابن عاشور إضافةً إلى الاستقراء لآيات القرآن العظيم إلى إبراز قواعد تضمّنتها آياتُ الكتاب العزيز، فيقول مثلاً:

«وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين أربع قواعد للمقدّمة:

القاعدة الأولى: إيجاز المقدّمة لئلا تملّ نفوس السامعين بطول انتظار المقصود؛ وهو ظاهر في الفاتحة، وليكون سُنَّة للخطباء فلا يُطيلوا المقدّمة كي لا يُنْسَبُوا إلى العِي؛ فإنَّه بمقدار ما تُطال المقدّمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٣٨٧.

الثانية: أن تشير إلى الغرض المقصود، وهو ما يُسمَّى براعة الاستهلال، لأنَّ ذلك يهيِّئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم، فيتأهَّبوا لتلقّيه إن كانوا من أهل التلقّي فحسب، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة، ولأنَّ ذلك يدلّ على تمكّن الخطيب من الغرض، وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبّه السامعين لوعيه، وفيه سنّة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم. . .

الثالثة: أن تكون المقدّمة من جوامع الكلم، وقد بيّن ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق فيها.

الرابعة: أن تفتتح بحمد الله»[1].

وهذه ـ والله ـ قواعد مهمّة للأديب، ولمن يمارس صناعة الكتابة، صاغها ابن عاشور في عقد منتظم اللآلئ. وقد تتبَّعتُ مدّةً السبب الذي لم يُفصح عنه العزّ بن عبد السلام في التقديم لكتبه بإيجاز شديد، أثناء تحقيقي لكتبه، حتى وجدتُه مذكوراً عند ابن عاشور في الموضع السابق من تفسيره، رحمه الله وأجزل مثوبته.

والشيخ ابن عاشور عالمٌ ناقدٌ، حرّ التفكير، قد وضع الحجّة دليله، فتراه ينتقدُ الزمخشري[2]، ويعترض على الشاطبي[3]، ويناقش حجّة الشافعي[4].

وتظهر شخصية المفسِّر ابن عاشور في فهمه التاريخيّ للنصوص وتوفيقها بقوله في تفسير آية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١٥٣.
(٢) المصدر السابق: ١/ ٦١.
(٣) المصدر السابق: ١/ ١٢٨.
(٤) المصدر السابق: ١/ ١٤٢.

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، بعد أن سرد أقوال الفرق الإسلامية في مسمّى (الإيمان):

«. . . وأنا أقول كلمةً أربأُ بها عن الانحياز إلى نُصرة؛ وهي أنَّ اختلاف المسلمين في أوّل خطوات مسيرهم وأوّل موقف من مواقف أنظارهم، وقد مضت عليه الأيام بعد الأيام، وتعاقبت الأقوام؛ بعد الأقوام يعدّ نقصاً علمياً لا ينبغي البقاء عليه. ولا أعْرِفَنِّي بعد هذا اليوم ملتفتاً إليه. لا جرم أنَّ الشريعة أوّل ما طلبت من الناس الإيمان والإسلام، ليخرجوا بذلك من عقائد الشرك ومناوأة هذا الدين، فإذا حصل ذلك تهيَّأت النفوس لقبول الخيرات، وأفاضت الشريعة عليها من تلك النيّرات؛ فكانت في تلقّي ذلك على حسب استعدادها؛ زينة لمعاشها في هذا العالم ومعادها»[١].

وفي ختام تفسيره يقول:

«وإنَّ كلام رب الناس حقيق بأن يُخدم سعياً على الرأس، وما أدّى هذا الحق إلا قلم مفسِّر يسعى على القرطاس، وإنَّ قلمي استنَّ بشوط فسيح، وكم زُجِرَ عند الكَلالِ والإعياء زَجْرَ المَنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حقَّ له أنْ يستريح.

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمئة وألف، فكانت مدّة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر، وهي حقبة لم تَخلُ من أشغال صارفة، ومؤلَّفات أخرى أفنانها وارفة، ومنازع بقريحةٍ شاربةٍ طوراً، وطوراً غارفة، وما خلال ذلك من تشتّت بال، وتطوّر أحوال، مما لم تَخْلُ عن الشكاية منه الأجيال، ولا كُفران لله فإنَّ نعمَه أوفى، ومكاييلَ فضله عَلَيَّ لا تُطَفَّفُ ولا تُكْفا.

وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن يُنجدَ ويغور، وأن ينفع به الخاصةَ

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٢٧١.

والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارةً لن تبور[1].

وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقيّ مدينة تونس. وكَتَبَ محمد الطاهر ابن عاشور»[2].

وقد طُبع التفسير سنة (١٩٨٤م)، وصدر عن الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر في ثلاثين جزءاً.

وقد نشر أوّله مقالات في المجلة الزيتونية، كما سيأتي بيانه في مقالاته فيها.

وقد طُبعت مقدّمته في تونس سنة (١٩٥١م)، وأُعيد طبعه مع تفسير جزء عمّ، سنة (١٩٥٥م)، وطُبع الجزآن الأوَّل والثاني بمصر سنة (١٩٦٤م)[3].

* * *

---

(١) تُنظر دراسة محمد الحبيب بلخوجة «الجانب اللغوي والبياني في التحرير والتنوير»، الدورة (٥٠)، ج٥٤، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٦ـ٦٣٧.

(٣) مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢م: ٣/ ٥٨، قسم١.

ثانياً: آثاره في الحديث النبوي الشريف

١ ـ تعليقات وتحقيق على حديث أمّ زرع.

٢ ـ النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.

٣ ـ كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.

* * *

تعليقات وتحقيق على حديث أمّ زرع

من مؤلّفاته المخطوطة[1].

* * *

النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح

بيّن المؤلّف رحمه الله الغرض من تأليفه الكتاب في فاتحة مقدّمته له فقال: «ولقد كَثُر ما عرض لي عند روايته ما يستوقف طِرف الطَّرْف، ويستحثّ بياناً لذلك الحرف، لم يَشْفِ فيه السابقون غليلاً، أو تجاوزه قلم كان عند بلوغه كليلاً، فرأيتُ حقّاً أن أُقيّد ما بدا، وأن لا أتركه يذهب سدى، والحمدُ لله على ما ألهم إليه وَهَدَىٰ».

فهو، إذن، تعليقاتٌ على مواضع في (الجامع الصحيح) للبخاريّ، لم يُفصِّل القول فيها المتقدّمون من الشرّاح، بل توقّفوا فيها، أو أحجموا

---

(١) محفوظ: ٣/٣٠٨.

عنها، أو قصَّروا في تبيانها؛ كل ذلك «بلمحات تدلّ الأريب؛ ولا يحار في توسّعها الرأي المصيب، تفادياً من التطويل، وإبقاء على الناظر صاحب الرأي الأصيل» كما يقول المؤلّف.

وقد استغنى عند كل حديث مرويّ في (الموطّأ) بما بيّنه في كتابه (كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ).

وقد رتَّب الشيخ ابن عاشور كتابه على ترتيب البخاريّ في جامعه، فتراه في مجموعه تقييداتٌ وتعليقاتٌ على فقرات متفرّقة من (الجامع الصحيح)، قد تكون جزء حديث، أو عبارة منه، أو حتى كلمة في بعض الأحيان. وتدلّ كتاباته فيه على سَعَةٍ في الأفق، وفهمٍ لمقاصد الحديث، وهو كما وَسَمَه رحمه الله: «النظر الفسيح....».

ومن الأمثلة على ذلك ذكره حديث أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ أحقُّ بِحُسنِ صحابتي؟ قال: «أمّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ أمّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ أمّك»، قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أبوك».

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: «وقد أهمل العلماء تحقيق الكلام على معنى هذا الحديث؛ فذهب أكثرهم إلى أنّه رجّح جانب الأمّ على جانب الأب في البرّ، حتى قال جماعة منهم أبو بكر بن العربي في (العارضة)، وابن بَطّال في (شرح البخاري)، وابن عطيّة في تفسير قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤] إلى تحديد ذلك بتكسير البرّ إلى أربعة كسور ثلاثة منها للأمّ وواحد للأب، وهذا عجيبٌ من أمثالهم.

وقد ذكر شهاب الدين القَرَافيّ في الفرق الثالث والعشرين كلامهم. وأورد عليه شكوكاً، كأنّه يحاول إرجاع هذا اللفظ النبويّ إلى نوع

المتشابه، ثمّ أوّله بأنَّ المقصود منه إظهار تأكيد حقّ الأمّ في البرّ ثمّ أتى بكلام تشمّ منه حيرته في ذلك.

والذي يجب الاعتماد عليه: أنَّ هذا الحديث إذا كان قد حكاه الراوي بلفظ النبيّ ﷺ دون تصرّف، فمعناه وتأويله: أنَّ النبيَّ ﷺ علم من السائل أنَّه يرمي إلى الإذن منه بحُسن صحبة غَيْر أُمّه، على ما جرت به عادة أهل الجاهليّة من التسامح في برّ الأمّ بما للأبناء من إدلال عليها، وبما وُقر في نفوسهم من الإقبال على جانب الأب لاعتزازه بالرجولة والبطولة، فأراد النبيُّ ﷺ أن يُظهر له الاهتمام بجانب الأمّ للحذر من التفريط في حقّها. فلا يقتضي الحديث إلا الاهتمام بها، وأنَّها جديرة بالبرّ مثل الأب قَلْعاً لآثار الجاهلية من نفوس المسلمين؛ فالأبوان في البرّ سواء، كما أشار له قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[لقمان: ١٤]، وقوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، فسوَّى بينهما فيما أمر به.

وعلى هذا يكون مساق الحديث نظير مساق قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، إذ علَّل الوصاية بهما بذكر موجبات هي مختصّة بالأم إيقاظاً للأبناء عن الغفلة عن جانب الأمّ، لأنَّه معرَّضٌ للغفلة؛ وبذلك يتّضح سرّ جمعهما في الوصاية بهما مع تخصيص التعليل لما هو من شؤون الأمّ، ثم جمعهما في الأمر بالشكر لهما في قوله عقب التعليل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

ومما يزيد هذا كشفاً أنَّ برّ الأمّ وبرّ الأب لا يتعارضان غالباً، فالخشية إنّما هي من الاشتغال ببرّ أحدهما عن برّ الآخر، وهو الجانب الضعيف.

فأمّا إذا عرض تعارض بين حقّ الأبوين في البرّ مثل أن يأمر أحد الأبوين ولده بعكس ما يأمره به الآخر، فهنا عليه أن يسعى في إرضائهما معاً، أو التوفيق بين أمريهما، فإن أمكن له ذلك فذاك، وإلا فهو من تعارض الدليلين دون إمكان الجمع، فيجب الوقف. وعلى هذا جاء قول مالك للذي قال له: إنّ أبي في السودان كتبَ إليّ أنْ أقدم عليه، ومنعتني أمّي، فقال له مالك: أطِعْ أباك ولا تعصِ أمّك. ذكره القرافي في الفرق الثالث والعشرين عن مختصر الجامع»[1].

وفي كتاب (الأدب)، باب ما يكره من التمادح، يُورد حديث أبي بَكْرة: أنَّ رجلاً ذُكر عند النبيِّ ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبيُّ ﷺ: «وَيْحَك قطعتَ عُنُق صاحبك».

وفي حديث أبي موسى: «قطعتم ظَهرَ الرجل».

قال ابن عاشور: هذا من بليغ الكلام النبويّ، ولم أعرف سابقاً له في كلام العرب، فهو مما انفرد به الرسول ﷺ، وهو تمثيلٌ بديع، لأنَّ فيه تشبيه الهينة الحاصلة من ثناء الرجل على الآخر، وما يحصل للممدوح إذا كان حاضراً أو إذا بلغه ذلك من الازدهاء والإعجاب بالنفس، فيظنّ نفسه بلغت الكمال. فإن كان الثناءُ صادقاً ربّما عاد عليه بضُرّ الزهادة في طلب الكمال، أو التفريط في بعض ما عنده من المحامد؛ وإن كان في الثناء مبالغة؛ أي كان بأكثر مما في الممدوح، فذلك يغرّه ويُخيّل إليه أنَّه ساوى الكُمَّل فيريد أن يجري في مضمارهم ويسمو إلى طبقتهم عن غير جدارة[2].

---

(١) انظر: (الفروق: أنوار البروق في أنواء الفروق) للقرافي: ١/ ٢٧١ وما بعدها؛ و(النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح) لابن عاشور، ص٣٠٣ وما بعدها.

(٢) النظر الفسيح، ص٣٠٨.

وهكذا؛ فإنَّ ابن عاشور رحمه الله تراه في هذا الكتاب إمَّا منبِّهاً على فائدة قصّر عنها الشُّرَّاح في توضيحها، أو مبيِّناً أنواعاً من البلاغة اشتمل عليها الكلام النبويّ، أو ضابطاً لغوياً لألفاظ وقعت في ثنايا (الجامع الصحيح)، ونحو ذلك من الفوائد الفرائد التي تسرُّ قارئ البخاريّ.

وقد طُبع كتاب (النظر الفسيح) سنة (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م) في الدار العربية للكتاب، ليبية ـ تونس، بعد وفاة المؤلّف رحمه الله تعالى.

* * *

كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ

نبتت فكرة تصنيفه أيام تولّيه تدريس مادة كتاب الإمام مالك، وكان يأسره ويشدّه إليه جانبان هامان منه: جانب السنّة والآثار، وجانب الفقه والفتوى. لذلك كانت مصادر (كشف المغطى) دروس الإمام في الموطأ وما رجع إليه فيها من شروح وتصانيف للموطأ كانت متداولة بين أيدي أهل العلم؛ مثل: (المنتقى) للباجيّ، و(شرح الزرقانيّ)، و(تنوير الحوالك) للسيوطي، إضافة إلى شروح نادرة في عصره كونها كانت مخطوطة؛ مثل: (القبس) لابن العربي المالكي، وقسم من (ترتيب المسالك) له، وقطعة من (التمهيد) لابن عبد البر، وقطعة من (الأنوار في الجمع بين المنتفى والاستذكار) لابن زَرق، و(تعليق) لأبي محمد ابن السِّيد البطليوسي في غريب الموطأ، ونسخة من (مشارق الأنوار) لعياض، وصلتْ إليه متأخرة بعد أن كاد يفرغ من وضعه لكتابه.

تناول (كشف المغطى) نحو ثلاثمئة حديث ومسألة، أكتفي بمثال واحد منه يوضح طريقة المؤلف؛ قال ابن عاشور رحمه الله عند حديث رواه الإمام مالك عن ابن شهاب:

أن عمر بن عبد العزيز أخّر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره: أنّ المغيرة بن شعبة أخّر الصلاة يوماً وهو بالكوفة؛ فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري؛ فقال: ما هذا يا مغيرة؟! أليس قد علمتَ أن جبريل نزل فصلى، فصلى رسول الله . . . » الحديث[1].

بدأ الإمام محمد الطاهر ببيان خصائص هذا الحديث قائلاً:

هذا حديث أغرّ؛ فيه مراجعة فقيهين لأميرين، وفيه تلقّي تابعي عن تابعي، وصحابي عن صحابي، ورسول عن رسول. وكان عمر بن عبد العزيز أمير المدينة، وكان المغيرة بن شعبة أميرة الكوفة.

ثم أشار إلى ما في هذا الحديث من بيان إجمال آيات أوقاتِ الصلوات.

وفيما بدا من إنكار الفقيهين، عروة بن الزبير وأبي مسعود الأنصاري على الأميرين عمر بن عبد العزيز والمغيرة بن شعبة، تأخيرَ الصلاة ليس من أجل الغفلة عنها إلى خروج الوقت، وإنما للتأخّر بها عن أول الوقت. فالسلف كانوا يخشون تعيّنه لإيقاع الصلاة، وأنّ في التأخّر عن أول الوقت بدون عذر إثماً. ذاك كان دأبهم في المحافظة على السنّة. فكانوا يرون أن الواجب الموسّع وقته هو أول الوقت، وأن ما بعده قضاء سدّ مسدّ الأداء. وهذا خلاف رأي الجمهور الذي يعتبر جميع وقت الواجب الموسَّع محلاً للأداء.

وهذا الحديث مما رواه البخاري عن عبد الله بن سلمة عن مالك. ومحلّ الاحتجاج فيه لمقالة السلف: أن جبريل نزل فصلى عند الوقت

(١) في أول كتاب الصلاة.

ـ أي في بدايته ـ وصلى الرسول ﷺ بصلاته، وهكذا عقبت الصلاةُ النزولَ بلا تريّث، وفيه الإشعار بوجوب المبادرة إلى الصلاة. ويُقابل هذا الرأي قول الفقهاء: أوقات الصلاة ذات مبادئ ونهايات، وأنّ الأمر إنما جاء لتأكيد الأداء في أول الوقت، أو هو أمر لغير ذي العذر بالمبادرة إلى الصلاة، وفي هذا سعة، والشريعة لا يفارقها التيسير.

وقد اشتمل هذا التعليق على ملحظ لطيف دلّ على أهمية الصلاة وشرفها؛ يظهر الأول في صلاة جبريل الأوقات الخمسة برسول الله ﷺ، تبليغاً عملياً لأوصافها وكمال أدائها. ويظهر الثاني في فرض الله الصلاة بحضرة الملائكة في الإسراء، وبيان حقيقتها وصور القيام بها عن طريق نزول الروح الأمين جبريل عليه السلام بها[1].

* * *

---

(١) كشف المغطى، ص٥٢، ٥٥؛ بلخوجة، ص٢٢٩.

ثالثاً ـ آثاره في الفقه وأصوله

١ ـ آراء اجتهاديّة.

٢ ـ الأمالي على مختصر خليل.

٣ ـ حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب (التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول) للقَرَافيّ.

٤ ـ الفتاوى.

٥ ـ قضايا وأحكام شرعيّة.

٦ ـ مقاصد الشريعة الإسلاميّة.

٧ ـ الوقف وآثاره في الإسلام.

* * *

آراء اجتهاديّة

وهي مجموعة من الفتاوى، عدَّ منها د. محمد السويسي ثمانٍ وثمانين فتوى في رسالته عن المفتين في تونس، وقد تناولت هذه الفتاوى شتى الموضوعات في المسائل العبادية، وأحوال الأسرة، وقضايا المعاملات، وجملة من الشؤون العامة[1].

---

(١) بلخوجة، ص٢٦٢، نقلاً عن الفتاوى التونسيّة في القرن الرابع عشر الهجري: ١/ ١١٤.

وهو من مؤلّفاته المخطوطة[1].

* * *

الأمالي على مختصر خليل

مختصر خليل أكبر مدوّنة شائعة ومعتمدة في الفروع بين الطلاب والشيوخ بجامع الزيتونة[2].

وهو من مؤلّفاته المخطوطة[3].

* * *

حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب (التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول)

وهذا الكتاب حاشيته على كتاب مدرسي كان مشهوراً بين المالكية يرجعون إليه في كثير من مسائل أصول الفقه؛ وضعه القَرَافيّ صاحب (الذخيرة) في الفقه[4].

وقد وضعت الحاشية في صلب الكتاب، ووُضِعَ كتاب القَرَافيّ على الهامش، وجاءت عبارات الشيخ محمد الطاهر موضّحة مقاصد المؤلّف؛ قال ابن عاشور في مقدّمته: «وأوّل ما صرفت إليه الهمّة في هاته الحاشية هو تحقيق مراد المصنّف رحمه الله، ثم تحقيق الحقّ في تلك المسائل على تمثيلها بالشواهد الشرعيّة؛ وتنزيلها على ما ليس متداولاً من الفروع

---

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٨.
(٢) بلخوجة، ص٢٦٢.
(٣) محفوظ: ٣/ ٣٠٨.
(٤) بلخوجة، ص٢٦٣.

الفقهية لتكون في ذلك دربة على استخدام الأصول للفقيه، وقد أعرضتُ عن التطويل بجلب الأقوال، لأنَّ في ذلك ما يضيع الزمان ويؤدّي إلى الملال، وعن الإكثار من المسائل والفوائد، والتطوّح إلى المستطردات الشوارد؛ فإنَّ في هذا الكتاب وفاءً بما يُحتاج إليه من صميم علم الأصول»[1].

وقد تمَّ تأليف الكتاب يوم الجمعة ثالث ذي الحجة سنة (١٣٢٩هـ)، وصرَّحت النظارة العلميّة في الزيتونة بالاحتياج إلى هذه الحاشية في فهم شرح التنقيح، وأجازت لذلك طبعها بالإجازة المؤرّخة في ٢١ ربيع الأنور سنة (١٣٤١هـ)، وفي ١١ نوفمبر سنة (١٩٢٢م)[2].

وقد طُبع الكتاب بمطبعة النهضة بتونس سنة (١٣٤١هـ) في جزأين كبيرين، وقرّظه كبار العلماء في الزيتونة ما بين نثر وشعر، أُثبت في نهاية الكتاب.

* * *

الفتاوى

من مؤلّفاته المخطوطة[3]، وهو تقييدات على جملة من النوازل الشرعية التي عني بتحريرها أيام تولّيه القضاء، أو مدّة رئاسته للمجلس الشرعيّ[4].

* * *

---

(١) حاشية التوضيح والتصحيح: ١/ ٤.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٢٤٠.

(٣) محفوظ: ٣/ ٣٠٩.

(٤) بلخوجة، ص٢٦٢.

قضايا وأحكام شرعية

وهي مجموع للمسائل الفقهية التي تكثر الحاجة إليها ويعوّل في الأحكام عليها[1].

من مؤلّفاته المخطوطة[2].

* * *

مقاصد الشريعة الإسلامية

يُعدُّ هذا الكتاب من أشهر كتب ابن عاشور إنْ لم يكن أشهرها؛ فلم يُفرِدْ هذا الموضوع أحدٌ حسب علمي بالتصنيف بعد العزّ بن عبد السلام والشاطبي غير ابن عاشور الذي أحيا هذا الموضوع.

وقبلَ عشر سنوات من إصدار كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) عام (١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م) كتب زميله المفتي المالكي الشيخ محمد العزيز جُعَيْط (١٣٠٣هـ = ١٨٨٦م ـ ١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م) في (المجلّة الزيتونية)[3]:

«ذلك أنّي لم أعثر في هذه الثروة العلميّة، مع غزارة مادّتها وكثرة أنواعها، ووفرة عددها، على ديوان جامع جدير باستحقاق هذا اللقب، يجمع في مطاويه شَمْلَ المقاصد الشرعية، ويُفصح عن أسرار التشريع، وإنّما يوجد في بطون الدواوين الفقهية وكتب علم الخلاف صُباباتٌ من العلل وشذرات من الأدلّة لا تشفي للواقف عند حدِّها علّة، إذ لا تبثّه تلك

---

(١) بلخوجة، ص٢٦٢.

(٢) محفوظ: ٣/ ٣٠٩.

(٣) انظر بحثه في (المجلة الزيتونية) مج١: ٢/ ٢٦، (شعبان ١٣٥٥هـ = أكتوبر ١٩٣٦م) بعنوان: (المقاصد الشرعية وأسرار التشريع).

العللُ مقصداً تأرزُ إليه أفرادُ أنواع الأحكام، ولا تُناجيه بما يكفي للإذعان بأنه مقصد، ولا تسفر عمّا في أغوار تلك العلل من الفوائد».

وكأنَّ تأليف ابن عاشور استجابة وتلبية للأمنية التي أعرب عنها الشيخ جعيط، فكان الهدف من تصنيفه ليكون «مرجعاً بين المتفقّهين في الدين عند اختلاف الأنظار وتبدّل الأعصار، وتوسّلاً إلى إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودُرْبَةً لأتباعهم على الإنصاف في ترجيح بعض الأقوال على بعض عند تطاير شرر الخلاف، حتى يستتبّ بذلك ما أردنا غير مرّة من نبذ التعصّب والفيئة إلى الحقّ»[1].

والذي دعاه إلى صرف الهمّة إليه ما رأى من «عُسْر الاحتجاج بين المختلفين في مسائل الشريعة، إذ كانوا لا ينتهون في حجاجهم إلى أدلّة ضرورية، أو قريبة منها، يُذْعِنُ إليها المكابر، ويهتدي بها المشبَّهُ عليه، كما ينتهي أهلُ العلومِ العقلية في حجاجهم المنطقيّ والفلسفي إلى الأدلّة الضروريات والمشاهدات والأصول الموضوعة، فينقطع بين الجميع الحِجَاج، ويرتفع من أهلِ الجدل ما هم فيه من لجاج»[2].

قسّم المؤلّف كتابه إلى أقسام ثلاثة؛ فجعل القسم الأوّل في إثبات أنَّ للشريعة مقاصد من التشريع، والقسم الثاني في مقاصد التشريع العامّة، والقسم الثالث في مقاصد التشريع الخاصّة بأنواع المعاملات.

ولقد عالج في القسم الأوّل مباحث هي بمثابة القواعد لمعرفة هذا العلم، فتكلّم عن احتياج الفقيه إلى معرفة مقاصد الشريعة، وطرق إثبات المقاصد الشرعية، وطريقة السلف في الرجوع إلى مقاصد الشريعة،

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص١٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص١٧٧.

وبيان أنّ أدلّة الشريعة اللفظية لا تستغني عن معرفة المقاصد الشرعية، وانتصاب الشارع للتشريع، ومراتب مقاصد الشريعة، وتعليل الأحكام الشرعية، وخلوّ بعضها عن التعليل.

وأمّا القسم الثاني في مقاصد التشريع العامّة، التي عرّفها بأنّها المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، فقد تكلّم فيه ابتداءً عن الصفة الضابطة للمقاصد الشرعية، وهي نوعان: معانٍ حقيقية، ومعانٍ عرفية عامّة. ويُشترط في جميعها أن يكون ثابتاً، ظاهراً، منضبطاً، مطّرداً[1].

ويُظهر ابن عاشور أنَّ (الفطرة) هي وصف الشريعة الأعظم التي ابتنت عليها مقاصد الشريعة، وأنّ السماحة هي أوّل أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها.

---

(١) قال ابن عاشور في ص١٨٤ من كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية): «المراد **بالثبوت** أن تكون تلك المعاني مجزوماً بتحققها أو مظنوناً ظنّاً قريباً من الجزم.
والمراد **بالظهور** الاتضاح بحيث لا يختلف الفقهاء في تشخيص المعنى، ولا يلتبس على معظمهم بمشابهة، مثل: حفظ النسب الذي هو المقصد من مشروعيّة النكاح، فهو معنى ظاهر ولا يلتبس بحفظه الذي يحصل بالمخادنة أو بالإلاطة، وهي إلصاق المرأة البغيّ الحملَ الذي تعلقُه برجل معيّن ممن ضاجعوها.
والمراد **بالانضباط** أن يكون للمعنى حدٌّ معتبر لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بحيث يكون القدر الصالح منه لأن يعتبر مقصداً شرعياً غير مشكّك، مثل: حفظ العقل إلى القدر الذي يخرج به العاقل عن تصرفات غير العقلاء الذي هو المقصد من مشروعيّة التعزير بالضرب عند الإنكار.
والمراد **بالاطّراد** أن لا يكون المعنى مختلفاً باختلاف أحوال الأقطار والقبائل والأعصار؛ مثل: وصف الإسلام والقدرة على الإنفاق في تحقيق مقصد الملاءمة للمعاشرة المسماة بالكفاءة، المشروطة في النكاح في قول مالك وجماعة من الفقهاء، بخلاف التماثل في الإثراء أو في القبلية».

ويقول في المقصد العام من التشريع: «إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالّة على مقاصدها من التشريع، استبان لنا من كلّيات دلائلها ومن جزئياتها المستقراة أنَّ المقصد العامّ من التشريع فيها هو حفظُ نظام الأمّة، واستدامةُ صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحُهُ صلاحَ عقله، وصلاحَ عمله، وصلاحَ ما بين يدَيْه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»[1].

و(التشريع) اصطلاح بيَّن منه المراد في مقدّمته فقال: «فمصطلحي إذا أطلقتُ لفظ (التشريع) أنّي أُريد به ما هو قانونٌ للأمّة، ولا أُريدُ به مطلقَ الشيء المشروع، فالمندوب والمكروه ليسا بِمُرَادَين لي. كما أرى أنَّ أحكام العبادات جديرة بأن تُسمّى بـ(الدّيانة)، ولها أسرارٌ أخرى تتعلّق بسياسة النفس، وإصلاح الفرد الذي يلتئم منه المجتمع. لذلك قد اصطلحنا على تسميتها بنظام المجتمع الإسلامي، وقد خصصتُها بتأليف سمّيتُه أصول نظام المجتمع في الإسلام»[2].

ثمَّ شرع في بيان المصلحة والمفسدة، وعموم شريعة الإسلام، والمساواة بين الأمّة في تناول الشريعة، وأنّ الشريعة ليست بنكاية، بل شريعة عملية تسعى إلى تحصيل مقاصدِها في عموم الأمة وفي خويصة الأفراد، ثم بيَّن أنَّ مقصد الشريعة من التشريع: تغيير وتبديل؛ تغيير الأحوال الفاسدة وإعلان فسادها، وتقرير أحوال صالحة قد اتّبعها الناس، ثم بيّن نوط الأحكام الشرعيّة بمعانٍ وأوصاف لا بأسماء وأشكال؛ ذلك أنَّ مقصد الشريعة من أحكامها كلّها إثباتُ أجناس تلك الأحكام لأحوال

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠٠.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٤.

وأوصاف وأفعالٍ من التصرّفات خاصّها وعامّها؛ باعتبار ما تشتمل عليه تلك الأحوال والأوصاف والأفعال من المعاني المنتجة صلاحاً ونفعاً، أو فساداً وضراً، قويين أو ضعيفين.

وبعد فصول متعدّدة، يورد بحثاً في هذا القسم بعنوان (الحرية: معناها ومداها ومراتبها في نظر الشريعة). وأهميّة هذا البحث تكمن في أنَّ ابن عاشور أول من جعل الحرية مقصداً أصلياً من مقاصد الشريعة؛ فيقول في مطلعه: «... ذلك أنَّ استواء أفراد الأمة في تصرّفهم في أنفسهم مقصد أصلي من مقاصد الشريعة، وذلك هو المراد بالحرية»[1].

وعالج في القسم الثالث: مقاصد التشريع الخاصة بأنواع المعاملات بين الناس، فبحث في توجّه الأحكام إلى مرتبتين: مقاصد ووسائل، وبيّن أنّ مقصد الشريعة في المعاملات تعيين أنواع الحقوق لأنواع مستحقّيها، وبيّن مراتب الحقوق، ومقاصد أحكام العائلة، ومقاصد التصرّفات المالية، ومقاصد الشريعة في المعاملات المنعقدة على الأبدان، ومقاصد أحكام التبرّعات، ومقاصد أحكام القضاء والشهادة، والمقصد من العقوبات.

وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة (١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م)، عن مكتبة الاستقامة بتونس، ثم نشرته الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٨٨م؛ ثم صدر بتحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي سنة (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م) عن دار النفائس بعَمّان، ودار الفجر في كوالالمبور، ثم أعدّه للنشر محقَّقاً وصدر عن دار القلم بدمشق: الدكتور محمد الحبيب بلخوجة.

* * *

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص٢٨٨.

ذكره محفوظ ضمن مؤلَّفاته المطبوعة[1]؛ وهو مما نشره في مجلة (الهداية الإسلامية) القاهرية في (المجلد التاسع، الجزء الرابع، ص٢٤١ - ٢٥٦)، وطُبعت بتونس مجموعةً، وسيقوم بنشرها مجموعةً: الأستاذ الفاضل علي الرضا الحسيني بدمشق في سلسلة (روائع مجلة الهداية الإسلامية).

* * *

(١) محفوظ: ٣/٣٠٨.

رابعاً: آثاره في الدراسات الإسلامية

١ ـ أصول التقدّم في الإسلام.

٢ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

٣ ـ أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية.

٤ ـ تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة.

٥ ـ نقد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق.

* * *

أصول التقدّم في الإسلام

من مؤلّفاته المخطوطة[1].

* * *

أصول النظام الاجتماعي في الإسلام

أصلُ الكتاب مقالات كتبها الشيخ الإمام في مجلة (هدى الإسلام) القاهريّة سنتي (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م ـ ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م)، كما قام زميله الشيخ محمد الخضر حسين بنشر مقالات ضَمَّها كتابه (من رسائل الإصلاح)، ولم تكن العادة أن يكتب من بلغ درجتهما بالكتابة في موضوع أخلاقيّ، غير أنَّ بُعد النظر والغَوْر جعل الشيخ الإمام «يُملي في بيان الأسباب التي أفادت المسلمين نهوضاً سامياً في بادئ أمرهم، وما مهَّده

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٨.

لهم الدين القويم من أسباب الرُّقيّ وانتشار العمران، ثم يُتبعه بيان الأسباب التي رجعت بهم عن ذلك التقدّم الباهر، ثم أعقبها بالبحث عن وسائل إصلاح أحوالهم حتى يعودوا كما بدؤوا من كمال الارتقاء؛ إذ رأى كثيراً من الغالبية الإسلامية لا يبحثون عن الإسلام بما يتجاوز تعرّف عقيدته أو تفاريع أحكامه الخاصة بذات المكلّف أو المتعلّقة بمعاملاته، أو عن تاريخ تطوّره؛ فدفعه هذا الأمر إلى إبراز كتاب في هذا الشأن رجاءَ أن يكون ذلك خدمة لنشر فضائل الإسلام وبيانها لِمَنْ قد يخفى عليه شيء من دقائقها، وعوناً لِمَنْ يلتزُّ إلى إقناع المجادلين في شأنها»[1].

وغرضُه في هذا الكتاب البحث عن روح الإسلام وحقيقته من جهة مقدار تأثيرها في تأسيس المدنية الصالحة، ومقدار ما ينتزع المسلمُ بها من مرشداتٍ يهتدي بها إلى مناهجِ الخير والسعادة، وإيضاح الحكمة التي لأجلها بعث اللهُ بهذا الدين رسولَه محمداً ﷺ خاتماً للرسل، أو عن الآثار التي ألقاها لنفع البشر.

وقد قسَّم المؤلّف بحثه إلى مقدّمات، واعتباريات، وقسمين.

فالمقدّمات: اشتملت على بحوث في: الدّين، الأديان الإلـٰهية السابقة للإسلام، ما هو الإسلام؟، الإسلام دين الفطرة، الفطرة أصل الاعتدال، الاعتدال والتوسّط، السَّماحة، الإسلام حقائق لا أوهام.

والاعتباريات: ضمَّت مبحثين: دفع إيراد في نفي الوهم عن جميع قضايا الدين الإسلامي، وعمل الإسلام في إقامة أصول النظام.

والقسم الأول في أصول إصلاح الفرد: اشتمل على: إصلاح الاعتقاد، إصلاح التفكير، إصلاح العمل، إيجاد الوازع النفساني، آثار

---

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص١٩.

الوازع النفساني في الإصلاح الفردي والاجتماعي، الحثّ على اكتساب العلم، تعميم الدعوة للإصلاح الفردي بين المسلمين، شأن المرأة في الإسلام، التشريع الإسلامي ومسألة الرقّ والعبودية.

والقسم الثاني في أصول الإصلاح الاجتماعي: اشتمل على: إيجاد الجامعة الإسلامية، تكوين جماعة المسلمين، الأخوّة الإسلامية، أصول نظام سياسة الأمة، مال الأمّة، توفير المال للأمّة والاقتصاد لأجله، الحكومة والدولة الإسلامية، صفة الحكومة الإسلامية ونزعتها، ديمقراطية الحكومة الإسلامية، الدفاع عن الحوزة وحماية البيضة، سياسة الحكومة الإسلامية، التسامح.

يعودُ تاريخ تأليف هذا الكتاب إلى مدّة سبقت خمس سنين من تأليف كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) سنة (١٣٦٠هـ)، الذي طُبع بعد تأليفه بستّ سنوات (١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م)؛ فإذا كان كتاب المقاصد قد جاء الأساس فيه بحثاً في المقاصد العامة والخاصة لذلك الجانب من نصوص الشريعة الذي ورد موردَ القواعد والأحكام والقوانين المنظِّمة للمعاملات والعلاقات بين أفراد المجتمع وفقاً للترتيب الثلاثي من ضروريّ فحاجيّ فتحسيني، الذي تواتر تأكيده عند الأصوليين منذ إمام الحرمين الجويني، وفي إطار المقصد العام للشريعة المتمثّل في (حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان)[1]، **فإنَّه في كتابه (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)** إزاء بحث في الأساس النفسيّ والفكريّ الذي يضفي على تلك الأحكام والقوانين روحها وفعّاليتها، كما أنّنا أمام نظر في الإطار الاجتماعي والسياسي الذي فيه تتحقّق المقاصد، وبه تتوطّد وظيفتها وعلائقيتها، فضلاً عن تواصلها

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص٢٠٠.

وتكاملها، ذلك أنَّه وضع الأصول الفكريّة والأسس النفسية والخلقية، ورسم الإطار الاجتماعي والسياسي اللذين تتحقّق بناءً عليهما المقاصد التي بحثها في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية).

ويتواصل الكتابان ولا تنفصل مباحثهما بل تتكامل وتتعاضد، وكأنَّما ابن عاشور بهذا التواصل المنهجي والتكامل الفكري، قد مهَّد السبيل لما يمكن تسميته بالفقه الاجتماعي العام الذي من مهامه العلمية المباشرة أن ينظر في أسباب صلاح نواحي الهيئة الاجتماعية في أحوال علاقات بعض أفرادها ببعض، لأنَّ حالات التجمّع تبعث عوارض جديدة لم تكن موجودة في أحوال انفراد الأفراد، وقد تطغى بقوتها الاجتماعية على ما تقف عليه الأفراد من الكمالات فتحجبها أو تزيلها بالمرّة بحكم الاضطرار لمسايرة دواعي الأحوال الاجتماعية[1].

وقد بيَّن المؤلّف مفاهيم متميّزة في هذا الكتاب يجب الوقوف عندها؛ من ذلك تفسيره (للفِطْرة) فبيَّن أنَّ المعوّل في تفسيرها قول الإمام المفسِّر ابن عطية في (المحرّر الوجيز): ١١/ ٤٥٣: والذي يُعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة [الفطرة] أنَّها الخِلْقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي مُعَدَّة ومهيَّأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدلّ بها على ربّه جلّ وعلا، ويعرف شرائعه ويؤمن به.

وقال في (الكشاف): «المعنى أنَّه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام»، فقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] ينتظم معنى الآية هكذا: إذا علمت ما بيّنّاه من

---

(١) أصول النظام الاجتماعي، ص٨٦؛ ومقدمة الأستاذ محمد الطاهر الميساوي للكتاب، ص١٣.

الدلائل على إبطال الشرك، فوجِّه نفسك للإسلام الحنيف الذي هو الفطرة، فذلك هو الدين القيّم الصحيح دون غيره، إذ المقصود من الكلام بيان فضيلة دين الإسلام على سائر الأديان بَلْهَ دين الجاهلية، ويكون الكلام جارياً على عادة **بلاغة القرآن من تذييل الأغراض الجزئية بالدلائل الكليّة المبرهنة على الأغراض السابقة وغيرها**، على نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]؛ فالتعريف في ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ تعريف الجنس، والمقصود منه: بيان أنّ جميع أحوال الصلح خير، وأنّ منه الصلح الذي يقع بين الزوجين.

ويعضد هذا التفسيرَ الحديثُ الصحيحُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يولد الولد على الفطرة؛ فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه»[1]، فتراه قال الفطرة بالتهويد والتنصير والتمجيس، دون الإشراك. واليهودية دينُ توحيد، والنصرانية يقول كثير من طوائفها بالتوحيد على اختلافٍ في بيانه وتقريره، فلو كان المرادُ من الفطرة خصوص التوحيد، لكان الأَوْلى أن تقابَل بالمجوسية وبشرك الجاهلية.

الآن استتبّ لنا أنَّ مراد الله بقوله: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٣٠] هو دين الإسلام بمجموعه في عقائده وتشريعاته، وأنَّ هذا الدين هو الفطرة، ثمَّ إنّك لتسمع كثيراً من العلماء والكتّاب يصف الإسلام بأنّه دين الفطرة، غير أنّك تجد أكثرهم لا يغوص على هذا الوصف ولا يبلغ إلى الغاية التي لأجلها وصَفَه به، فلا جرم أن كان حقيقاً علينا أن نفيض في بيانه».

---

(١) أخرجه بنحوه مالك والشيخان.

«فالفطرة ما فُطر ـ أي: خُلق عليه الإنسان ظاهراً وباطناً، أي: جسداً وعقلاً؛ فسيرُ الإنسان على رجليه فطرة جسدية، ومحاولة مشيه على اليدين خلاف الفطرة. وعمل الإنسان بيديه فطرة جسدية، ومحاولة عمله برجليه خلاف الفطرة. واستنتاج المسبَّباتِ من أسبابها والنتائج من مقدّماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج الشيء من غير سببه ـ المسمَّى في علم الجدل بفساد الوضع ـ خلاف الفطرة العقلية. والجزم بأنَّ ما نشاهده من الأشياء هو حقائق ثابتة في نفس الأمر فطرة عقلية، وإنكار السفسطائية ثبوتها خلاف الفطرة العقلية»[1].

«ومعنى وصف الإسلام في الآية بالفطرة أنّه جارٍ على ما فُطر عليه البشر عقلاً، فهو مقصود الفطرة. فلأجل تلبسه بدلائل الفطرة أُطلق عليه لفظ الفطرة كأنّه هو الفطرة نفسها، كما يقال: فلان عدل.

فقد استبان أنَّ الآية تدلّ على أنّ جميع أصول الإسلام وقواعده تنفجر من ينبوع معنى الفطرة، والإحاطة بذلك ليست إلا لعلاّم الغيوب، ولكنّ حظّنا من ذلك ملاحظة أمثلة منها جامعة؛ لنتدبّر فيما وقع تعيينه من قِبَل الشارع، ونقيس عليه ما أشبهه في حكمه»[2].

ونعرض بعض الأفكار التي أتى بها الكتاب، مثل قوله: «وقد تقصّينا واستقرينا تصرّفات الله تعالى فيه [أي: العالَم الأرضيّ] فوجدناها على أكمل نظام، إذ رتّبه على قوى إذا استهلك بعضٌ منها جدّده بعضٌ آخر يخلفه فينمّيه، أو يعوّضه، أو يتدارك ما يتدارك منه، وهو أطوار شباب الأشياء واعتدالها وتقهقرها، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٣٥.
(٢) المصدر السابق، ص٣٩ ـ ٤٠.

خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً [الروم: ٥٤]»[1].

«إنَّ الإنسان عقلٌ تخدمه الأعضاء، ولولا العقل لما كان الإنسان إلا بهيمة ضعيفة.. فأعماله جارية في الصلاح والفساد على حسب تفكيره، وقد عبَّر عن التفكير في اصطلاح الشريعة بالقلب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧]، وفي الحديث الشريف: «... ألا وإنَّ في الجسدِ مضغة إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب»، أراد بالقلب العقل، سواء قلنا: إنَّ القلب هو محلّ العقل، أم قلنا: إنَّ مجمل العقل هو الدماغ..

والمراد بصلاح الجسد صلاح العمل.. **بهذا نستدلّ على أنَّ إصلاح التفكير من أهمّ ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد؛ وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكّر والتعقّل والعلم والاعتبار، وأنَّ ذلك جرى على هذا المقصد، فأنبأنا الاستقراء عن اهتمامه به والإفصاح عنه بكلام رسوله**»[2].

«الحثّ على اكتساب العلم تحريكٌ للمقاصد الثلاثة الماضية، وهي: التفكير، وإصلاح العمل، وإيجاد الوازع؛ لأنَّ بالعلم تمييز الخبيث من الطيب، فهو عند ذلك التمييز تفكير في التمايز، ثمّ هو دليل على الفضائل، وقائد إلى الخيرات يُرشِدُ إلى التكثير منها، وحارس عن النقائص يحذر من الدنوّ إليها؛ فبه يُعرف العمل الصالح»[3].

---

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٧٥.
(٢) المصدر السابق، ص٨٩ـ٩٠.
(٣) المصدر السابق، ص١٥٠.

ويبحث ابن عاشور في موضوع (التسامح)، وهو كما يعرّفه: **إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين بالدرس**[1]، وهو من خصائص درس الإسلام، ووليد إصلاح التفكير ومكارم الأخلاق؛ ذلك أنَّ الإسلام مع ما دعا إليه أتباعه من جعله الدين هو الجامعة العظمى التي تضمحلّ أمامها سائر الجامعات إذا خالفتها، فهو لم يجعل تلك الجامعة سبباً للاعتداء على غير الداخل فيها، ولا لغمط حقوقه في الحياة وإجراء الأحكام، فجعل التسامحَ من أصول نظامه[2].

ولقد أسَّس الإسلام للتسامح أسساً راسخةً، وعقد له مواثق متينة، وفصل فصلاً مبيناً بين واجب المسلمين بعضهم مع بعض وتوادّهم من جهة ما يجمعهم من الجامعة الإسلامية، وبين حُسن معاملتهم مع من تقتضي الأحوال مخالطتهم من أهل الملل الأخرى، وقاعدة هذه الأسس هي القاعدة الفكرية النفسية، وتلك هي أنَّ القرآن وكلام الرسول ﷺ في مناسبات يُعلِّمان المسلمين أنَّ الاختلاف ضروريّ في جبلّة البشر، وأنّه مع طبع اختلاف المدارك وتفاوت العقول في الاستقامة. وهذا المبدأ إذا تخلّق به المرءُ أصبح ينظر إلى الاختلاف نظره إلى تفكير جبلّي تتفاوت فيه المدارك إصابةً وخطأً، لا نظره إلى الأفراد العدواني المثير للغضب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩][3].

وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب عن الدار التونسية للنشر بتونس عام (١٩٧٧م)، ثم صدر عن الشركة التونسية بتونس والمؤسسة الوطنية

---

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٢٥٣.
(٢) المصدر السابق، ص٣٥٥.
(٣) المصدر السابق، ص٣٥٧.

للكتاب بالجزائر عام (١٩٨٥م)، ثم قام الأستاذ محمد الطاهر الميساوي بنشره عام (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م) في دار النفائس بعمّان (الأردن)، بعد أن قرأه وخرّج أحاديثه ووثّق شواهده؛ أي: أنَّ الكتاب طُبع في طبعته الأولى بعد أربعين عاماً من تأليفه، وبعد أربع سنوات من وفاة مؤلّفه رحمه الله تعالى.

* * *

أليس الصبح بقريب

التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحيّة

يُعدُّ هذا الكتاب من أهمّ الكتب التي كُتبت في عصره، اعتنى به مؤلّفه بنقد التعليم ومناهج التأليف السائدة؛ فتكلّم عن أوضاع التعليم وأسباب ضعفه، وأحوال البيئة الزيتونية ومبادرات الإصلاح للتعليم فيه، وما أثار حوله من اختلافات أو نزاعات، قال في مقدّمته: «قد كان حدا بي حادي الآمال، وأملى عليّ ضميري، من عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف، للتفكير في طرق إصلاح تعليمنا العربي والإسلامي، الذي أشعرتني مدّة مزاولته، متعلّماً ومعلّماً، بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق، فعقدتُ العزم على تحرير كتابٍ في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه، ولم أنشب أن أزجيتُ بقلمي في ابتداء التحرير، فإذا هو يُسابقني كأنّه من مطايا أبي العلاء القائل:

ولو أنَّ المطيّ لها عقول وجدّك لم نَشُدَّ لها رحالا

وصادفتُ أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام، فقضيتُ هواجرها الطويلة وبكرها الجميلة في هذا العمل»[1].

---

(١) أليس الصبح بقريب، ص٥.

وعنوان الكتاب المثير؛ الذي هو جزءٌ صغيرٌ من آيةٍ قرآنية، وضعه آمِلاً فيه طلوع فجر الصباح بعد أن طال ليل التخلّف.

لقد بحث المؤلّف في كتابه (أسباب تأخّر التعليم)، وذلك لانعدام خطّة تربوية متطوّرة، وإهمال الضبط للدروس والمقرّرات، والبعد عن التربية الأصيلة.

كما نقد مستويات التعليم، بسبب غياب مَلَكة النقد في مرحلة التعليم العالي، وإهمال التمرين والعمل بالمعلومات في المرحلة الثانوية، وغياب الحفظ في المرحلة الابتدائية، وعدم مراعاة المصالح الصحيّة للمتعلّم، والجري وراء الشهادة من غير تحصيل علمي.

ووَقَف المؤلّف المطلبَ الثاني من كتابه للكلام على العلوم وأحوالها وإصلاحها وأسباب تأخّرها، مثل: علم التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، وعلم الكلام، والأدب، والنحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، والتاريخ.

وقد كان نقد ابن عاشور للعلوم جريئاً؛ لأنّه لا عصمة لعالم أو مجتهد، وإذا ذُكر العلم والاجتهاد في الإسلام، ووُصِفَ بهما العالم فقد قرنت عمله بالصواب أو الخطأ؛ لذلك كان نقدُ الشيخ نقداً غيرَ هَيّاب؛ فكان في نقده مجدِّداً بصيراً بعيوب العلوم التي عرضها، ويطغى على نقده الطابع التربويّ، إذ كان يُظهر هنات العلوم، ويُنَبّه على مواطن الخلل فيها، لا سيما ما يعسُر فهمه على الطالب، ونبَّه في جرأةٍ أثارت حفيظة خصومه على العراقيل المصطنعة التي أثارها أعداء التطوّر الواقفين في وجه كلِّ إصلاح علميٍّ تربوي[1].

---

(١) الغالي، ص٢٠٥؛ بلخوجة، ص١٣٣؛ وانظر (منهج الشيخ محمد الطاهر ابن=

بدأ ابنُ عاشور تأليف كتابه سنة (١٣٢١هـ = ١٩٠٣م) وأتمَّه في ثلاثة أصياف، وطبع سنة (١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م) عن الشركة التونسية للتوزيع بتونس، ثم صدر ثانية سنة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، ويقول: «غير أنّي لم أدع فرصةً إلا سعيتُ إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير مما تضمّنه هذا الكتاب، فاستتبّ العمل بكثير من ذلك، وبقي كثير، بحسب ما سمحتْ به الظروف، وما تيسّر من مقاومة صانعِ منكرٍ ومانعِ معروف».

لقد كان المؤلّف في كتابه هذا مؤرّخاً للعلوم وطرق تدريسها منذ انتشار العلم في بلاد الإسلام وامتداده إلى الأندلس، فبحث في أطوار التعليم العربي عند ظهور الإسلام، ونقل العلوم الفارسية والهندية واليونانية، ووَصَف التعليم الإسلامي وأساليبه ومناهجه، كما بحث في صفة الدروس والطريقة في معرفة أهليّة المتصدّي للتعليم، ومواضع التعليم، وظهور الكتاتيب، وتعليم المرأة، وانبثاث العلوم الإسلامية في الأقطار الإسلامية في مصر وإفريقية والأندلس وبلاد فارس والمغرب الأقصى، ثم تكلّم عن مواضع التعليم في إفريقية والمغرب وانتشار العلم في الأندلس، وأسلوب التعليم في هذه الأقطار، ومواضع التعليم فيها، ثم خصّ التعليم في تونس، فتكلّم عن مواضع التعليم فيها وأسباب تأخّرها ونظرة في إصلاحها وترقية أفكار التلامذة. وأرّخ بعد ذلك للتأليف وأسبابه، وبحث في كل علم يدرسه طالب العلم، وطرق إصلاح تعليمه.

وهذا الكتاب بحقّ سبق مؤلّفُه عصرَه في التأليف، إذ نجد أنّ ما بين

= عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي) للأستاذ محمد مسعود جبران، وهو بحث نشره في (مجلة كلية الدعوة الإسلامية)، طرابلس، العدد الخامس، ١٩٨٨م، ص٢٠٠ـ٢٣٧.

تأليفه وطباعته نحو ستين سنة، وها قد مضى على تأليفه نحو قرن من الزمن، فإن إصلاح التعليم العربي الإسلامي أمرٌ ما زال يجري في مكانه.

* * *

تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنّة

وهو كتاب متوسط الحجم لم يقع تحت يدي أثناء كتابة هذه السطور، وأذكر أنه مقالات جمعها له ابنه عبد الملك ابن عاشور، رأيته مطبوعاً في تونس في خزانة ابن أخت الشيخ محمد الفاضل الأستاذ الفاضل محمد الحبيب الجلولي.

* * *

نقد علمي لكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق

قال ابن عاشور في مقدمته: «أتحفني بعض الأبناء والأعزّاء من خلال الراحة الصيفية بكتاب عنوانه (الإسلام وأصول الحكم) ألّفه الشيخ علي عبد الرازق المصريّ من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية؛ فسرّني إفراد هذا البحث بالتأليف.. وصادف مني فراغاً من الشواغل، أعانني على استقصاء مطالعته في ليالٍ قلائل... ثم بدا لي بعد ذلك أن أنبّه على ما لاح من النقود، خيفة أن تتلقّفه طلبة العلم كدأب الناس في تلقّف الجديد، فتقع في أذهانهم موقع الصدأ من خالص الحديد.

وكنتُ أودُّ أن أبسط القول في تحقيق ما وقع فيه من مسألة مختلطة أو شبهة متّبعة، ولكن لما أصبح الوقت بالمهم مشغولاً، فقد اكتفيتُ بالإلمام بما عنّ من الملاحظات وأوجز قولاً».

وقد تتبع الشيخ الإمام محمد الطاهر صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) فذكر الأدلة على مخالفته في ما ذهب إليه في بعض المواضع؛

فقسّم كتابه إلى فصول، وهي: الكتاب الأول: الخلافة والإسلام، الكتاب الثاني: الحكومة والإسلام، الكتاب الثالث: الخلافة والحكومة في التاريخ، مقسّماً كلّ كتاب إلى ثلاثة أبواب.

ومن التعقيبات على الشيخ علي عبد الرازق قول ابن عاشور[1]:

«ذكر ـ أي: علي عبد الرازق ـ في صحيفة (٧) أنهم لم يبيّنوا مصدر القوة التي للخليفة، وأنه استقرأ من عبارات القوم أن للمسلمين في ذلك مذهبين: منهم مَنْ يرى أن الخليفة يستمد قوته من قوة الله تعالى؛ ومنهم من يرى أن مصدر قوته هي الأمة. وهذا الكلام الذي أطال به هنا بعيد عن التحقيق؛ اشتبه عليه فيه الحقيقة بالمجاز والحقائق العلمية بالمعاني الشعرية والمبالغات في المدح والغلو فيه، فجعل مستنده في إثبات المذهب الأول؛ نحو قولهم للخليفة: ظل الله في الأرض، ونحوه من الأبيات التي ذكرها وديباجات التآليف التي سردها. هذا ولم يقل أحد من علماء الإسلام أن الخليفة يستمد قوته من الله تعالى، وإنما أطبقت كلمتهم على أن الخلافة لا تنعقد إلا بأحد أمرين: إما البيعة من أهل الحلّ والعقد من الأمة، وإما بالعهد ممن بايعته الأمة لمن يراه صالحاً. ولا يخفى أن كلا الطرفين راجع للأمة؛ لأن وكيل الوكيل وكيل؛ فإذا بويع فقد وجب له ما جعله الله من الحقوق التي هي القوة المبيّنة في شرع الله تعالى؛ لأن الله حدّد قوة الخليفة وجعلها لخدمة مصلحة الأمة، وجعل اختيار وليّ أمرها بيد الله، ولم يقل أحدٌ أنه يستمد من الله تعالى بوحي ولا باتصالٍ روحانيّ ولا بعصمة. ولا خلاف أن حكم الخليفة حكم الوكيل إلا في امتناع العزل بدون سبب من الأسباب المبينة في مواضعها من كتب الفقه وأصول الدين».

وقد جاء الكتاب في (٣٨) صحيفة، وصدر عن المطبعة السلفية

---

(١) نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، ص٤.

ومكتبتها، بمصر سنة (١٣٤٤هـ).

ومن الجدير بالذكر أن صديقه الإمام محمد الخضر حسين قام بنحو ما فعله الإمام ووضع كتاب (نقص كتاب الإسلام وأصول الحكم) وصدر بالقاهرة سنة (١٣٤٤هـ)، وكذلك الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية بنشره لكتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم).

* * *

خامساً: آثاره في اللغة والأدب

١ ـ أصول الإنشاء والخطابة.

٢ ـ الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني.

٣ ـ تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.

٤ ـ تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السِّيْد البطليوسيّ.

٥ ـ تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر المعروف بمقدّمة في النحو.

٦ ـ تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للطبيب ابن زهر.

٧ ـ التعليق على المطوّل بحاشية السيالكوتي.

٨ ـ جمع وشرح ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس.

٩ ـ ديوان بشار بن برد: شرح وتحقيق.

١٠ ـ ديوان النابغة الذبياني.

١١ ـ سرقات المتنبّي ومشكل معانيه لابن بسَّام النَّحويّ.

١٢ ـ شرح ديوان الحماسة.

١٣ ـ شرح معلّقة امرئ القيس.

١٤ ـ شرح المقدّمة الأدبيّة لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمّام.

١٥ ـ غرائب الاستعمال.

١٦ ـ قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلَّق.

١٧ ـ مراجعات تتعلَّق بكتابي معجز أحمد واللامع العزيزي.

١٨ ـ موجز البلاغة.

١٩ ـ الواضح في مشكلات شعر المتنبّي لأبي القاسم الأصبهاني.

* * *

أصول الإنشاء والخطابة

كان الشيخ ابن عاشور يأخذ على طلبة العلم الشرعيّ عنايتهم بالنحو وقواعده دون عنايتهم بالإنشاء، فترى أحدهم يَسْهُل عليه إعراب صفحة من كتاب، ويَعْسُر عليه إنشاء صفحة من حُرّ اللفظ وشريف المعنى، كما لاحظ أنَّ هبوطاً بدأ يظهر في قُدرات المتعلّمين عن مستوى الإبلاغ والإقناع ودرجة الإبداع والتعجيب، فاهتمَّ بطرق الحصول على الأسلوب الحسن، وسبيل الإفضاء بما يجيش في الصدر من معانٍ جيدة ورشيقة.

فالإنشاء كما عرَّفه في كتابه هذا: علم تُعرف به كيفيّة أداء المعاني التي تحضر بالبال أو تلقى إليه، على وجه تتمكَّن به من نفوس المخاطبين من حيث ربط أجزاء العلوم، واشتماله على ما يُستجاد من الألفاظ، ويحسن من الأساليب مع بلاغته.

ويُعرِّف فن الخَطابة: بأنّه الفنُّ الذي يختصّ بمجموعة من الضوابط والشروط، إذا التزم بها الخطيب ورعاها استطاع أن يُقنع بكلامه أصناف السامعين بصحة الغرض الذي يقصده ويدعو لفعله أو الانفعال به.

وبعد تعريفه للخطابة القائمة على الإقناع وقيام الشعر على التخيّل والمحاكاة، يذكر شروط الخطيب، وأوصاف الخطبة، ويُنَوِّه بالدور الكبير الذي يستطيع المهرة والحذّاق من أصحاب هذا الفنّ الاضطلاع به.

ولم يهمل المؤلّف الجانب التطبيقي؛ فهو يذكر الأمثلة الكثيرة المميّزة من قرآن وحديث، ونثر وشعر، كما يدعو إلى ممارسة تمارين تشدّ بها المعارف، وتنضج بها القدرات والمَلَكات.

وقد صدر هذا الكتاب بتونس سنة (١٣٣٩هـ = ١٩٢٠م)[١].

* * *

الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني

أقرأ الإمام ابن عاشور كتاب الجرجاني وخالطه وتدبّر معانيه ومسائله، وحضر عدداً من الدروس فيه على شيخه العلاّمة محمد بن يوسف[٢]، فدعاه ذلك فيما يظهر إلى كتابة هذه الأمالي عليه.

وهو من مؤلّفاته المخطوطة[٣].

* * *

تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي

وهو من آثاره المخطوطة[٤].

* * *

---

(١) بلخوجة، ص٣٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص٣٤٨.
(٣) محفوظ: ٣/ ٣٠٨.
(٤) تراجم المؤلّفين التونسيين: ٣/ ٣٠٩.

تحقيق وتصحيح وتعليق على كتاب
الاقتضاب لابن السِّيْد البطليوسي

وكتاب الاقتضاب شرح لأدب الكاتب لابن قتيبة، قال محفوظ: «ومن يطالع كتاب الاقتضاب يعرف مكانة ابن السِّيْد البطليوسي في اللغة ورواية الأدب، ويدرك منزلة المترجم في الاستدراك عليه».

وهو من مؤلّفاته المخطوطة[1].

* * *

تحقيق وتعليق على كتاب خلف الأحمر
المعروف بمقدّمة في النحو

عدّه محفوظ في (تراجم المؤلّفين التونسيين) من مؤلّفاته المخطوطة[2]، والظاهر أنّه مجموعٌ لمقالتَيْن نشرهما ابن عاشور في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق) بعنوان: (نظرة في الكتاب المعنون بعنوان (مقدّمة في النحو) المنسوب إلى الإمام خلف الأحمر)، وذلك في المجلد ٣٨، ص٥٧٦ ـ ٥٩٠، والمجلد ٣٩، ص١٥٢ ـ ١٦٢.

* * *

تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالينوس
للطبيب ابن زهر

من مؤلّفاته المخطوطة[3].

---

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٨.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق: ٣/ ٣٠٩.

وهذا يثير لدينا التساؤل: هل كان لابن عاشور مشاركة في علم الطب أيضاً؟.

* * *

التعليق على المطوَّل بحاشية السيالكوتي

(المطوَّل) شرح للسعد التفتازاني على (متن تلخيص المفتاح) للسَّكَّاكيّ، ولعبد الحكيم السِّيالكوتيّ (حاشية على المطوَّل)، وقد تولّى الأديب الشيخ محمود قبادو تدريس (المطوّل) و(مختصره)، وكلاهما للتفتازانيّ، كما قام العلاّمة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجدّ بتدريس المطوَّل وكتابة تعاليق لم تتمّ، أسماها (الغيث الإفريقي تقاييد على حاشية عبد الحكيم السيالكوتيّ على المطوَّل)، فكأنّ مترجمنا ابن عاشور يجاري الشيخ الجدَّ، ولا يكتفي بما تركه من تعاليق، فسجَّل هو أيضاً ما عنَّ له من ملحوظات أيام تدريسه لهذا الكتاب ومراجعاته له[١].

وما يزال هذا الكتاب مخطوطاً[٢].

* * *

جمع وشرح ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس

من مؤلَّفاته المخطوطة[٣].

* * *

ديوان بشار بن برد ـ شرح وتحقيق

ليس بخافٍ عن أحدٍ ممَّن زاول أدب اللغة العربية ـ كما يقول ابن

---

(١) بلخوجة، ص٣٥١.
(٢) محفوظ: ٣/ ٣٠٩.
(٣) المصدر السابق نفسه.

عاشور[1] ـ مزاولةَ مُغْرَم ما يجده الأديب من الحَسْرَة على نزارة ما بين يدَيْه من شعر بشار بن بُرد، ذلك الشاعر القَرْم الذي هو فاتح باب شعر المولَّدين، خاتم عصر الشعراء المتقدّمين، وذلك الشعر الذي هو مظهرٌ من مظاهر تحوّل الشعر العربي من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ، والذي يُعَدُّ بواسطة عقْدَيْن تضمّ حوالَيْها سِمْطي الشعر القديم والشعر الجديد، ويزيده كَلَفاً به وتعطّشاً إليه ما يروى من تَهَمُّمِ أئمة البلاغة لالتقاطه، بعد انفصام عِقْدِه وانفراطه.

من أجلِ ذلك لم يزل ولا يزال المتأدِّبون يَشْدُون بما تناله أيديهم من شعره، فيزيّنون به مدوّناتهم، ويرصِّعون بفرائده مجموعاتهم.

وقد ضمَّت خِزانة كتب الشيخ ابن عاشور على جزءٍ عظيم من ديوان بشار، يظهر أنَّه نصف الديوان، كتب بخطٍّ مصريّ عتيق؛ لعلَّ أصل جمعه وقع بقرب زمان المهدي العبّاسي؛ إلا أنَّ خطَّه غير واضح تمام الوضوح، ولم يكن لناسخها حظٌّ قويّ في اللغة والأدب العربي، فكان يُوقع تحريفاً ولحناً في غريب الألفاظ، فيكتبها على مبلغ علمه وما يسبق إلى فهمه من صور الألفاظ الغريبة، وقد أخطأ في ضبط الكلمات خطأً يدلّ على ضعفِهِ في النحو، وفي كثير من الأخطاء ما يُوقع حيرةً للناظر، يقول ابن عاشور: «ولولا ممارستي لأدب العرب والشعور بمآخذ بشار ومراميه في شعره لَعَسُرَ عليَّ إصلاح كثير من تلك الأغلاط... وقد كنتُ منذ سنين طويلة عزمتُ على نشر هذا المقدار من الديوان، ورأيتُ أن ألحق به ما وجدته فيما طالعته من كتب الأدب مما نُسب إلى بشار، فجمعتُ ذلك، فتحصَّل لي من ملحقات الديوان ما يُقارب ألف بيت، وأفردتُ تلك الملحقات بجزء، وأشرتُ إلى مستندي في نسبة تلك الملحقات إلى بشار»[2].

---

(١) ديوان بشار بن برد: ١/ ٩٩.

(٢) مقدّمة لديوان بشار بن برد: ١/ ٩١ ـ ٩٢.

وقد مهّدَ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لديوان بشار بمقدّمة بلغت نحو مئة صحيفة، احتوت على مباحث في سيرة بشار ودراسة شعره، وذلك من حيث: نسبه، واسمه وكُنيته ولقبه، وأهله، ومولده ونشأته ووفاته، وصفته، وعَمَاه، ولباسه، وخلقه، وبداهة جوابه وملحه، ومجلسه، واعتقاده، وسبب وفاته، ومكانته لدى الخلفاء والأمراء، وغرامه، وسعة علمه بالعربية، وأحوال البصرة وقبائل العرب، ومرتبته من العلم، وشعره، ونظمه، ونسيبه، وهجاؤه، وزجره، وأقدم شعره، ورواية شعره وكاتبه، وتوسّعه في اللغة وقياسه، وتوسّعه في العَروض وفي الضرورة، ومكان شعره من حفظ فصيح اللغة، ومكانة شعره من حفظ التاريخ العربي في الجاهلية والإسلام، وشهادة الأئمة له بجزالة الشعر وسلامة الذوق، واهتمام أهل الصناعة بشعره، ومَنْ نَقَد بشاراً ومَن أجاب عنه، ونقده للشعر والشعراء، ومكانته من النثر، وعلاقة بشار بإفريقية، وأعلام شعر بشار، وديوانه، والنسخة المستخرجة من هذا الجزء من الديوان.

وقد اشتملت مخطوطة (ديوان بشّار) على الجزء الأوّل منه، وقد رُتِّبَتْ فيها القصائد على حروف المعجم، وهي تبدأ بحرف الهمزة، وتنتهي في أثناء حرف الراء. أوراقها (٢٧٥) ورقة، وعدد أبياتها (٦٦٢٨) بيتاً، قام ابن عاشور بتصحيح الديوان وشرحه، فخرج في ثلاثة أجزاء، طُبِعَتْ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة بين عامي (١٩٥٠ - ١٩٥٧م). وأعان الشيخَ ابن عاشور في مراجعة الجزأين: الأوّل والثاني، وأشرف على طبعهما الأستاذان محمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين، وانفرد الأستاذ محمد شوقي أمين بمراجعة الجزء الثالث والإشراف على طبعه. ثم أخرج الشيخ الطاهر ملحقات الديوان في جزء رابع صدر في القاهرة عام (١٩٦٦م)، وراجعه الأستاذ محمد شوقي أمين، وهو يضمّ ما تناثر من شعر بشار في كتب الأدب مما لم تحوِه قطعة الديوان المخطوطة.

ثمَّ صدرت طبعة جديدة من (ديوان بشار) في أوّل (١٩٧٦م)، وشاركت في إخراجها تونس والجزائر، وهي إعادة لطبعة الشيخ الطاهر الأولى، احتفظت باسمه وتحقيقه وشروحه، والتزمت قراءات النصوص كما جاءت في طبعة الديوان الأولى، لم تغيّر فيها إلا مواضع قليلة معدودة، ولكنّها لم تلتزم شروح الطبعة الأولى: أسقطت جميع تعليقات الأستاذَيْن المراجعَيْن، مكتفية حيناً بإدماج مضمونها في شرح الأستاذ الطاهر، ومُغفلةً أحياناً ما ورد فيها إغفالاً تامّاً، ومضيفةً تارةً إلى الشرح ما ينبئ بردّ ما كان جاء فيه. ولم تُشر الطبعة إلى التعليقات وموقفها منها، وكان يحسن بها أن تفعل وفاءً لحقّ الأمانة والعلم، وقد أضاعت خيراً كثيراً بإهمالها طائفةً طيّبةً من تعليقات الأستاذين المراجعين جيدة نافعة، إذ إنّها لم تلتزم دائماً بإصلاح ما تضمّنته تلك التعليقات من فوائد لغوية هامة[1].

وقد أصدر الدكتور شاكر الفَحّام كتاباً عن مجمع اللغة العربية بدمشق سنة (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) بعنوان (نظرات في ديوان بشار بن برد) وهو في الأصل أبحاث نقديّة نشرها في مجلة المجمع سنة (١٩٧٨م)، قال في مقدّمته: «نعمتُ بصحبة الشاعر العظيم أبي معاذ بشار بن برد عامي (١٩٥٨ و١٩٥٩م). كنتُ أُعِدُّ حينذاك رسالةَ التبريز (الماجستير) التي اخترتُ موضوعاً لها: دراسة شعر بشار بن برد، وكانت الأجزاءُ الثلاثة التي ظهرت من ديوان بشار بتحقيق الأستاذ العالِم محمد الطاهر ابن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم بتونس خير مؤنِسٍ لي في رحلتي الممتعة مع أشعر المحدثين، ورأس المطبوعين، وإنْ لم تخلُ تلك الرحلةُ من تنغيصٍ قليل مردُّه إلى ما حفلت به مخطوطة الديوان اليتيمة من التصحيف

---

(١) نظرات في ديوان بشار بن برد، شاكر الفحام، ص١٧ ـ ١٨.

والتحريف. وعلى ما بذله الشيخ الطاهر طيّب الله ثراه ـ من جهدٍ بلغ الغاية، وما قام به صاحباه الأستاذان محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين من مراجعة وتهذيب، فما زال الديوان يفتقر إلى تضافر العلماء ليضطلعوا بتصحيحه، فيقوّموا عوجه، ويمسحوا الهنات عن وجهه، ويُعيدوا إليه رونقه ـ إنَّ التركة ثقيلة، والعبء مرهِق، ينوء بالعُصبة أُولي القوّة.

ولقد وقفتُ بأبواب القوافي، وأنا أُطالع الديوان، فأطلتُ الوقوف، وأتاحت لي الصحبةُ المحبَّبةُ أن أُرجِّحَ قراءةً في الأبيات تخالف ما اتَّجه إليه المحقِّق والمراجِعان، وأنْ أُوثر تفسيراً أراه أقربَ إلى مراد الشاعر، وألصقَ بمذهبه، واخترتُ من ذلك شواهد وأمثلةً ضمَّنْتُها رسالتي حين أعددتُها للمناقشة.. فوددتُ أن أُفرِدَ ما ترجَّحَ لي من تصحيحات الديوان من مقالة أنشرها في إحدى مجلاَّت التراث.. وقد رأيتُ أن أتخيَّرَ جملةً صالحةً مما كتبتُ، تكون شاهدَ ما وراءها، ولم أقصد إلى الاستقصاء، ثم إنّي لا أزعم أنَّ ما ذهبتُ إليه ورجَّحتُه من قراءة أو تفسير هو الراجح، وإنَّما هو ما أدَّاني إليه اجتهادي أعرضه العرضَ الرفيق، لا أقطعُ فيه بيقين، وأنا أعلم أنَّه جهد المُقِلِّ، وأنَّ بضاعتي في العربية مزجاة. وليست كلمتي في معرض تعقّب الشيخ الطاهر ـ غفر الله له وأجزل مثوبته ـ فقد قدَّم من العمل ما يُوسِعُ العذر، وكلمةُ الأستاذ الطاهر منّي على ذُكْر، وإنَّما هي خدمة العربية الخالدة، التي راعت بفصاحتها، وسحرت بحُسن بيانها، وإلاّ فغايةُ ما أرجوه أن أنتفع بما يرشدني إليه علماء اللغة الأبيناء، وفرسان الكلام المجلّون في ميدانه»[1].

وقد بلغ عدد المواضيع التي توقّف فيها الدكتور الفحَّام مئتين وثلاثين موضعاً من الديوان، حملت في طيّاتها العلم والأدب، والحسّ النقدي الرفيع.

---

(١) نظرات في ديوان بشار، ص١٧ ـ ١٨.

وأمَّا عمل الشيخ في شرحه على الديوان فقد أوضح منهجه في ذلك فقال:

وإذا كنت حَظِيْتُ باقتناءِ جزء ضخم من ديوان أحببتُ أنْ أُعَلِّقَ عليه شرحاً يقرِّبُ للمجتني بعض معانيه ونُكته، لأنّي رأيتُ شعرَه مفعماً بخصائص اللغة العربية ونكت بلاغتها، ومحتاجاً إلى بيان ما فيه من غريبها، فعلَّقتُ عليه هذا الشرحَ متوسّطاً بين التطويل والاختصار، بيَّنتُ فيه غريبَ لغته وخفيَّ معانيه، ونكتَ بلاغتِه وأدبه، وما يشير إليه من عادات العرب وتاريخهم وعادات عَصره وتاريخ الرجال والحوادث التي تضمَّنها شعره بالصراحة أو الإشارة. وخَصَّصْتُ الاستعمال العربيَّ الفصيح بالبيان، وذكرتُ في طالع كلّ قصيدة الغرض أو الحادثة التي قيلت فيها مما ذكره علماء الأدب والتاريخ مع زيادة بيان لما أهملوه، واصطلحتُ على أنَّ غرض القصيدة إذا كان مذكوراً في أصل الديوان أضعه في الشرح بين هلالين، وإذا لم يكن مذكوراً وذكرتُه أنا لم أضعْه بين الهلالين، ليعلَمَ المطَّلِعُ أنَّ تعيين الغرض مَرْويٌّ في كتب الأدب أو مستخرَجٌ من القصيدة نفسها.

ولمَّا رأيتُ أبناء الأدب العربي في غالب البلاد قد زَهِدُوا في علم العَرُوض والقافية نَبَّهْتُ في كلِّ قصيدة على بحرِها وعروضها وضَرْبِها، ولم أُبيِّن الزِّحاف والعِلَّة العارضة في الأبيات إلا في مواضع جديرة بالبيان، ثِقةً بأنَّ التنبيه على بحرِ القصيدةِ وعَروضها وضَرْبها يفتح للمطالع طريقَ البحث عن معرفة ما يعتورُ بعضها من زِحافٍ أو عِلَّة[1].

* * *

---

(١) مقدّمة (ديوان بشار بن برد): ١/ ١٠٠.

ديوان النابغة الذبياني

وقف ابن عاشور على شعر أبي أمامة زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني مطبوعاً في المطبعة الوهبية بمصر سنة (١٢٩٣هـ)، وما نشره من شعرهِ لويس شيخو في مجموعته (شعراء النصرانية) التي ظهرت ببيروت سنة (١٣٠٧هـ = ١٨٩٠م)، وبعد مراجعته ذلك تبيَّن أنَّ في طبعتيه نقصاً، فقام بتجريد شرح عاصم بن أيوب البطليوسيّ، مضيفاً إليه ما عثر عليه من شعر النابغة في كتب اللغة، مثل: (لسان العرب) لابن منظور، و(معجم البلدان) لياقوت الحَمَويّ، كما قام بمراجعة نسخة من شرح أبي جعفر النحاس للديوان، وهي مخطوطة بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة؛ فتمَّ له حصر المتوافر من شعره، والوقوف على أكثره، وقد علَّق على ما يحتاج إلى التعليق من الأبيات بتفسير غريب المفردات، وبيان المعاني الخفيّة دون تطويل[1].

* * *

سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسَّام النحوي

يجمع هذا الكتاب، الذي حقَّقه الشيخ ابن عاشور، بين غرضين مطروحين للنظر والنقد: الأبيات المشكلة المحتاجة إلى بيان وشرح، والأبيات التي اقتفى فيها المتنبّي معاني غيره مما استجاده عند الشعراء قبله.

وقد اعتمد المحقّق ابن عاشور على نسخة خطيّة لم يقف على غيرها. وكان الشك قد اتّصل بالمحققين في تحقيق نسبة الكتاب إلى ابن بسام، وممَّن ذكر ذلك الدكتور إحسان عباس رحمه الله، والدكتور محمد رضوان الداية الذي وثَّق نسبة الكتاب إلى أبي بكر محمد بن عبد الملك بن

---

(١) بلخوجة، ص٦٨.

السرَّاج الشَّنتمري الأندلسي النحوي[1].

وقد صدر هذا الكتاب عن الدار التونسية للنشر في تونس سنة (١٩٧٠م).

* * *

شرح ديوان الحماسة

من مؤلَّفاته المخطوطة[2].

* * *

شرح معلَّقة امرئ القيس

من مؤلَّفاته المخطوطة[3].

* * *

شرح المقدّمة الأدبيّة لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام

عدَّ الشيخ ابن عاشور أن مقدمة الإمام المرزوقي لشرحه على ديوان الحماسة اختيار أبي تمام خير رائد لمنتهج روض الفصاحة. تفتح لمقتفيها ما استعصت به خفايا النكت من الصياصي.

وقد اشتمل الكتاب على شرح نصوص المقدمة ومفرداته الغريبة وبيان لمصطلحاته البلاغية.

ومثال من الكتاب قول ابن عاشور معقّباً على قول المرزوقي: «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال»، قال ابن عاشور: «يعني اللفظ

---

(١) بلخوجة، ص٤٥٨.

(٢) محفوظ: ٣/ ٣٠٩.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٣٠٨.

الذي وصفه آنفاً بالجزالة والاستقامة، أي وسيلة اختبار تحقق ذينك الوصفين فيه ثلاثة أشياء:

الأول: **الطبع**، وهو طبع البليغ وذوقه ودربته الحاصلة من كثرة مزاولة الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي، حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها اللفظ المقبول المستحسن واللفظ المجفو المستنكر، فينتقي ما يستحسن وينبذ ما يستكره.

الثاني: **الرواية**؛ وهي رواية ذلك اللفظ فيما يُروى عن العرب وأئمة الاستقراء ليعلم بذلك مواقعه من الكلام الفصيح، فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه.

والثالث: **الاستعمال**؛ ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز، ويظهر العام والخاص مثلاً»[1].

وأصلُ الشرح مقالات كتبها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - كما سيأتي في فقرة بحوثه في مجلة مجمع اللغة العربية -.

* * *

غرائب الاستعمال

وهو من مؤلَّفاته المخطوطة[2].

* * *

قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلَّق

قام ابنُ عاشور بجَمْعِ هذه القصيدة من نحو عشرين مصدراً أدبيّاً،

---

(١) شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، ص٨٦.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٣٠٩.

وشَـرَحَها، فبلغت سـتّة وأربعين بيتـاً. والأعشى أعشى قيس الملقَّب بالأعشى الأكبر وبصنَّاجة العرب، امتدح رجلاً خاملاً من العرب يُقال له: المحلَّق الكلابي بقصيدة بديعة على رويّ القاف، كانت سبباً في نباهة ذكر المحلَّق بعد خموله، وفي إيراق غصن مجادته بعد ذبوله، وبه خطب أمجادُ العرب بناتِه الثماني، وقد رأى ابن عاشور الاعتناء بجمع أبيات القصيدة بعد أن رأى أنَّ هذه القصيدة يجري ذكرها بين أهل الأدب وأخبار العرب عندما يذكرون نفوذ الشعر وتأثيرِه، ومَن رفعه الشعر ومَن وضعه.

ويجدُ الناظر منها أبياتاً أشتاتاً في شواهد العربية أو في مقطَّعات النوادر الأدبية، وهم مع تنويههم بشأنها فيما أثَّرته، وكيف حامت ميامِنُ طيرها بذلك البيت الفقير فأثْرَته.

وقد بلغت عدد صفحات الرسالة (٤٨) صحيفة مع الشرح، طُبعت في تونس، سنة (١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م).

* * *

مراجعات تتعلّق بكتابي معجز أحمد واللامع العزيزي

(معجز أحمد)، و(اللامع العزيزي) كتابان للمعرِّي شرح بهما ديوان أبي الطيّب، وهما موجودان في الخزانة العاشوريّة، وهما على التحقيق كتابان مختلفان، خلافاً لبروكلمن ومَنْ تبعه. والفرق بينهما نبَّه عليه الشيخ فقال: «إنَّ الأوّل منهما؛ وهو (اللامع العزيزي) مرتّبة قوافيه على حروف المعجم، وأكثر النسخ التي بأيدي الناس مرتَّبة على حروف المعجم، على نحو ما نجده عند العكبريّ في ترتيب شرحه للديوان.. وأما الثاني، وهو (معجز أحمد) فمرتَّب ترتيباً تسلسلياً على الأغراض، وكذا صنع الواحديّ في شرحه، وابن سيده في تفسير مشكله».

والمظنون أنَّ الشيخ الإمام لم يَقُمْ ـ كمـا يظهر ذلـك للكثيـر من

الناس ـ بشرح الديوانين، ولكنَّه كتب عليهما مراجعات وتقييدات[١].

وهو من مؤلَّفاته المخطوطة[٢].

* * *

موجز البلاغة

وهو رسالة في البلاغة ألَّفها ابن عاشور بسبب أنَّه رأى «طلبة العلم يُزاولون علم البلاغة بطريقة بعيدة عن الإيفاء بالمقصود، إذ يبتدئون بمزاولة رسالة الاستعارات لأبي القاسم الليثي السمرقندي، وهي زبدة مستخلَصة من تحقيقات المطوَّل، والمفتاح[٣]، يحتسونها قبل إبانها، ثم يتناولون مختصر التفتازانيّ قبل أن يأخذوا شيئاً من علم المعاني، وفي ابتدائهم شوط، وفي انتقالهم طفرة، فرأى أن يضع لهم مختصراً وجيزاً يلمّ بمهمات علم البلاغة ليكون لهم كالمقدّمة لمزاولة دروس مختصر التفتازاني»[٤]، وهو كما يقول فيه: «وضعتُهُ وضعَ من يقصد إلى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجرّدة عن المباحث الطّفيفة في فنون البلاغة الثلاثة، فإن هم أتقنوه فهماً ضَمِنْتُ لهم أن ينطقوا بلسان فصيح، ويملؤوا أوطاب أذهانهم من المحض الصريح»[٥].

وقد قسَّم كتابه إلى مقدّمة في تعريف علم البلاغة، ونبذة في تاريخه، ثمَّ تكلَّم عن فنونها الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع.

---

(١) بلخوجة، ص٤٢٠.

(٢) محفوظ: ٣/٣٠٦.

(٣) المطوَّل على تلخيص المفتاح، للتفتازاني؛ ومفتاح العلوم، للسَّكَّاكي، وكلاهما من كتب البلاغة المشهورة.

(٤) مقدمة موجز البلاغة، ص٢.

(٥) المرجع السابق نفسه.

وقد اعتنى بذكر أنواعها، والتمثيل لها، بعبارة مبسَّطة تُقَرِّب علم البلاغة لطالبيه.

وكان تمام إملائه في منتهى شهر رمضان من عام (١٣٤٣هـ) بالمرسَى، وطُبع بالمطبعة التونسية على نفقة المكتبة العلمية.

* * *

الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصبهاني

حقَّق هذا الكتاب الشيخ ابن عاشور. وأبو القاسم هو عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهانيّ، وقد وُضع هذا الكتاب من جملة الكتب التي وُضعَتْ ردّاً على ابن جنّي في شرحَيْه لديوان صاحبه أبي الطيب المتنبّي: (الفَسْر الصغير)، و(الفَسْر الكبير).

وعملُ المحقّق فيه يظهر بإثراء النص بقواعد التحقيق الأدبيّ، وتعقيبه بما يقتضيه النظر وشواهد الشعر وتعريفه للأعلام والمذاهب والأديان والملل والنِّحَل.

وقد طُبع الكتاب في تونس ـ الدار التونسية للنشر سنة (١٩٦٨م)[1].

* * *

---

(١) الغالي، ص٢٤٦.

سادساً: آثاره في التاريخ والتراجم

١ ـ تراجم بعض الأعلام.

٢ ـ قصّة المولد النبويّ الشريف.

٣ ـ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح ابن خاقان (تحقيق).

٤ ـ كتاب تاريخ العرب.

* * *

تراجم بعض الأعلام

من مؤلّفاته المخطوطة[١].

* * *

قصّة المولد النبويّ الشريف

رسالة علميّة، تناولتْ من الأغراض والموضوعات: التعريف بقريش والمفاضلة بينها وبين سائر القبائل، نسب المصطفى ﷺ فيها، حياته بمكّة قبل البعثة، البعثة للأهل والعشيرة، شدّة المشركين عليه وعلى أصحابه، أعمامه، رسالته العامّة، هجرة المؤمنين إلى الحبشة، الهجرة إلى المدينة، إقامته أصول الدولة الإسلامية، اتّساع الدعوة، مغازيه، شمائله ﷺ.

---

(١) محفوظ: ٣٠٨/٣.

وكانت هذه الرسالة محلّ عناية الباحثين من مؤرِّخين وغيرهم، وقام بتلخيصها نجله العلامة محمد الفاضل ابن عاشور، وكثُر استنساخُها، إلى أنْ تمَّ طبعها بتونس سنة (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م)[١].

* * *

قلائد العقيان ومحاسن الأعيان لأبي نصر الفتح ابن خاقان

جمع هذا الكتاب في الترجمة لذوي الرئاسة والمقام من الوزراء والكُتّاب والقضاة والأدباء الأعلام. وقد قال فيه ابن عاشور: «هو الكتاب الذي طار صيته في الأزمان، فخلّد للأندلس بين أهل الأدب ذكراً معطاراً، وأقام في كلّ مسلك من مسالك المعرفة مناراً. كتابٌ لم يخلُ ناشئ في الأدب عن الشوق إليه، ولا مبرّز من أن يكون بين يديه، فهو ديوان أدب في جواهره وأعراضه، جامع لأفانين الإنشاء وأغراضه»[٢].

وقد حوى هذا الكتاب أصنافاً من الأدبيات: كالقصائد والأراجيز الطويلة، والأمثال، والمخاطبات السلطانية، والمراسلات الإخوانية والغراميّة.

وقد قام المؤلّف بتحقيق الكتاب على خمس نسخ خطية وستّ نسخ مطبوعة، وأوّل ما صرف إليه العناية إلى ضبط نسخة القلائد، وشكَّل معظم كلماتها، وقد علّل ذلك بقوله: «فإنَّ التردُّدَ في حركات الكلمات عند المطالعة يزيل بهجة المطالع الحاصلة من فصاحة الكلام، بما يحصل من قلق النفس من جرّاء التردّد في كيفية النطق. . كما يزيل بهجة القارئ في نفسه، وبهجة سامعيه بما يُتلى عليهم»[٣].

---

(١) بلخوجة، ص١٩٨.
(٢) المرجع السابق، ص٤٧٤، نقلاً عن مقدّمة ابن عاشور للكتاب، ص١٧.
(٣) المرجع السابق، ص٤٧٤.

كتاب تاريخ العرب

من مؤلَّفاته المخطوطة[١].

* * *

(١) محفوظ: ٣/ ٣٠٩.

سابعاً: مقالات الشيخ ابن عاشور في الدوريات

لم يعتنِ ابنُ عاشور ـ رحمه الله ـ بالتأليف فحسبُ، بل كانتِ الكتابةُ في الصحافة والمجلاّت التخصصية من المجالات التي اهتمَّ بها؛ حتى إنَّ بعض كتبه بدأها مقالات نشرها في المجلاّت، مثل: (تفسير التحرير والتنوير)، الذي نشر أوَّله في (المجلة الزيتونية)، ومثل كتابه: (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) الذي نشر منه في مجلّة (الهداية الإسلامية)، وكتابه (شرح المقدّمة الأدبية)، الذي نشره على فصول في مجلّة (المجمع العلميّ العربي بدمشق).

وقد توزَّع نشر مقالاته وأبحاثه جغرافيّاً؛ فنشر في تونس، والقاهرة، ودمشق.

ففي تونس اشترك في إنشاء مجلة (السعادة العظمى) سنة (١٩٠٢م)، وهي أوَّل مجلّة تونسية، وقد أسَّسها محمد الخضر حسين، برَّد الله مضجعه، ونشر فتاوى ومقالات في صحف عدّة مثل: (النهضة)، و(الزهرة)، و(الوزير)، و(العصر الجديد)، و(العمل)، و(الصباح)، و(الهداية الإسلامية) التونسية[1]، و(المجلّة الزيتونية)، و(الرزنامة التونسية)، و(الثريا)، و(الفجر)[2].

وفي القاهرة حرَّر في (مصباح الشرق)، و(مجلّة المنار)، و(الهداية

---

(١) بلخوجة، ص٢٦٣، نقلاً عن محمود شمام، أعلام الزيتونة، ص٢٤٨ ـ ٢٨٣.
(٢) الغالي، ص٧١.

الإسلامية)، و(هدى الإسلام)، و(مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، و(الرسالة).

وفي دمشق كتب في (مجلّة المجمع العلمي العربي).

* * *

بحوثه في مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

انتُخب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٥٥م)، وقد بيّنّا في ترجمته ذلك، وقد كتب الشيخ أبحاثاً ومقالاتٍ في (مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق، وهذا ثَبَتٌ بها:

١ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (١).

سنة (١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م، مج٢٩/ ٣٨٧ ـ ٣٩٥).

٢ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (٢).

(مج٢٩/ ٥٤٤ ـ ٥٥٢).

٣ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٣).

(سنة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م، مج٣٠/ ٧٠ ـ ٧٦).

٤ ـ مقدَّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (٤).

(مج٣٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٧).

٥ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (٥).

(مج٣٠/ ٤١١ ـ ٤٢٦).

٦ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (٦).

(مج٣٠/ ٥٧٢ ـ ٥٨٩).

٧ ـ مقدّمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمّام (٧).

(مج ٣١/ ٥٩ ـ ٧٦).

٨ ـ صوغ (مفعلة) من أسماء الأعيان الثلاثية الأحرف مما وسطه حرف علّة.

(مج٣٦/ ٣٦ ـ ٤٢).

٩ ـ نظرة في كتاب الجامع الكبير لابن الأثير.

(مج٣٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٧).

١٠ ـ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، تأليف أحمد بن يوسف اللَّبْلِيّ.

(مج٣٧/ ١٩٩ ـ ٢٠٦).

١١ ـ تكملة وتقفية للتعريف بكتاب تحفة المجد الصريح وصاحبه وأصله.

(مج٣٧/ ٦٩٢ ـ ٦٩٥).

١٢ ـ نظرة في الكتاب المعنون بعنوان (مقدّمة في النحو) المنسوب إلى الإمام خلَف الأحمر (١).

(مج٣٨/ ٥٧٦ ـ ٥٩٠).

١٣ ـ نظرة في الكتاب المعنون بعنوان (مقدّمة في النحو) المنسوب إلى الإمام خلف الأحمر (٢).

(مج٣٩/ ١٥٢ ـ ١٦٢).

* * *

بحوثه في مجمع اللغة العربية في القاهرة

نشر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بحوثاً في مجلّته، ودورته المجمعيّة، وجلساته، وهذا بيان بالبحوث التي صدرت عن مجمع اللغة العربية في القاهرة في خمسين عاماً[1]:

يرمز بالحرف (د) إلى الدورة المجمعية.

وبالحرف (ج) إلى الجلسة من جلسات المجلس والمؤتمر وإلى الجزء من (مجلة المجمع).

١ ـ كلمة (كلّ) حقيقة في الكثرة أيضاً مثل الشمول. (المجلة ج٨/ ١٩٣).

٢ ـ الصوت المجسّد. (المجلة ج٨/ ١٩٦).

٣ ـ فرق لغوي مغفول عنه: الضرّ والضرر. (المجلة ج٨/ ٤٨٤، د١٧ ج١٢ للمؤتمر، محاضرات الجلسات، ص٥٥٦).

٤ ـ قولهم: «كان مما يفعل كذا». (د١٨ ج١١ للمؤتمر، محاضر الجلسات ص٥٠٥، والمجلة ٩/ ١١٦).

٥ ـ صوغ مفعلة من أسماء الأعيان الثلاثيّة. (د٢٧ ج٣، لم تُطبع محاضر هذه الدورة).

* * *

مقالاته في المجلّة الزيتونيّة

كتب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مقالاتٍ وأبحاثاً عدّة في

---

(١) (التراث المجمعي في خمسين عاماً)، تأليف إبراهيم الترزي، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٤م. (مجمع اللغة العربية في عيده الخمسيني ١٩٣٤ ـ ١٩٨٤م).

المجلّـة الزيتونيـة، وهي كما جاء في وَصْفها على غـلافها: (المجلّـة الزيتونية: مجلّة علميّة، أدبيّة، أخلاقيّة، تصدرها هيئة من مدرّسي جامع الزيتونة المعمور، شهرية، وسنتها عشرة أشهر).

صاحب المجلّة: الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي المدرِّس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمّودة باشا، ورئيس تحريرها: الشيخ محمد المختار بن محمود، المدرّس بجامع الزيتونة، والمدرسة الصادقية، والحاكم بالمجلس المختلط، والمفتي الحنفي بالديار التونسية في سنة (١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م)، ومديرها: الشيخ الطاهر القصَّار.

وقد صدر العدد الأوَّل منها في تونس في رجب عام (١٣٥٥هـ = سبتمبر (أيلول) عام ١٩٣٦م). واستمرَّت في الصدور حتى الجزء الثامن من المجلّد التاسع الذي صدر في ربيع الأوَّل (١٣٧٥هـ= نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٥م).

والملاحظ أنَّ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، كان من الكُتَّاب المداومين في الكتابة فيها.

وقد صَوَّرتْ دار الغرب الإسلامي في بيروت المجلَّة، وأعادت نشرها بطريقة الإفشاء (الأوفست).

المجلّد الأول:

العدد الأوَّل: (١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م).

- دروس التفسير: ديباجة - المقدّمة الأولى في التفسير والتأويل (ج١/ ١٤ - ١٨).

العدد الثاني: (١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م).

- دروس التفسير: بقيّة المقدّمة الأولى في التفسير والتأويل (ج١/ ٥٣ - ٥٧).

الجزء الثالث: (١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م).

ـ دروس التفسير: المقدّمة الثانية في استمداد علم التفسير (ج١/ ١٠٤ ـ ١١٠).

ـ الفتاوى والأحكام: نقل دخول شهر رمضان من بلد إلى آخر بواسطة الهاتف (التلفون) أو المذياع (الراديو) هل يثبت به الشهر أم لا؟ (ج١/ ١٤٥ ـ ١٤٩).

الجزء الرابع: (١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م).

ـ دروس التفسير: المقدّمة الثالثة في التفسير بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والإشارة ـ ١ ـ (ج١/ ١٦١ ـ ١٦٣).

ـ الفتاوى والأحكام: حكم معاملة أرباب المعاصر لمالكي الزياتين وإقراضهم شيئاً من المال ثم استيفائه زيتاً مع أجرة العصر (ج١/ ١٨٢ ـ ١٨٥).

الجزء الخامس: (١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م).

ـ دروس التفسير: المقدّمة الثالثة في التفسير بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والإشارة ـ ٢ ـ (ج١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٦).

الجزء السادس: (١٣٥٥هـ = ١٩٣٧م).

ـ شرف الكعبة؛ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. (ج١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٧).

الجزء السابع: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م).

ـ دروس التفسير: المقدّمة الرابعة في غاية المفسّر من التفسير (ج١/ ٣١٥ ـ ٣١٨).

ـ الفتاوى والأحكام: زكاة الأموال: تحرير جامع لأحكام زكاة الأموال (ج١/ ٣٢٥ـ٣٢٨).

الجزء الثامن: (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م).

ـ القرآن الكريم: المقدّمة الرابعة في غاية المفسّر من التفسير (٢)، (ج١/ ٣٦٦ـ٣٦٩).

ـ الفتاوى والأحكام: الجواب عن بعض الأسئلة الواردة على المجلّة (ج١/ ٣٧٧ـ٣٧٨).

ـ الوعظ والإرشاد: لا صَفَر (ج١/ ٣٨١ـ٣٨٥).

الجزء التاسع: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م).

ـ نسب الرسول عليه الصلاة والسلام ومناسبته لعليّ ذلك المقام: سلسلة النسب النبويّ، شرفه، طهارته، زكاؤه (ج١/ ٤١٦ ـ ٤٢٣).

ـ الشمائل المحمدية (ج١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٦).

الجزء العاشر: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م).

ـ القرآن الكريم: المقدّمة الخامسة في أسباب النزول (ج١/ ٤٩١ ـ ٤٩٤).

ـ تنبيه ونصيحة [إلى خطر أمر تفسير كتاب الله والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسّرين أو من إبداء تفسير أو تأويل من قائله إذا كان القائل قد توفّرت فيه شروط المفسّر . . .] (ج١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

ـ التنبيه على أحاديث ضعيفة أو موضوعة رائجة على ألسنة الناس (ج١/ ٥٠١ـ٥٠٢).

ـ الفتاوى والأحكام:

١ ـ سؤال وجوابه في وقوع الطلاق الثلاث.

٢ ـ سؤال وجوابه في استخلاص أموال الدولة هل يطرح منه الزكاة المفروضة شرعاً؟.

٣ ـ فتوى في الوقف (الحبس) (ج١/ ٥٠٥ ـ ٥٠٩).

٤ ـ فتوى في بيان حكم بيع الدخان.

٥ ـ فتوى في بيع الزيت باستعمال مصب تتعلَّق به كمية قليلة من الزيت.

المجلَّد الثاني:

الجزء الأول: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م):

ـ القرآن الكريم: [تفسير] سورة فاتحة الكتاب (١) (ج٢/ ٥ ـ ٨).

ـ الوعظ والإرشاد: شهر رجب ـ شهر شعبان (ج٢/ ٤٥ ـ ٤٧).

الجزء الثاني: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م):

ـ تفسير سورة الفاتحة (٢) (ج٢/ ٥٤ ـ ٥٧).

ـ شرح حديث: «مَنْ سُئل عن علمٍ فكتمه» (ج٢/ ٦٤ ـ ٦٧).

الجزء الثالث: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م):

ـ تفسير سورة الفاتحة (٣) (ج٢/ ٩٨ ـ ١٠١).

ـ الفتاوى والأحكام:

١ ـ فتوى في العمرى (ج٢/ ١٠٩ ـ ١١٠).

٢ ـ فتوى في رهن الزيوت لدى البنوك (ج٢/ ١١٠ ـ ١١١).

٣ ـ فتوى في صلاة العيد في اليوم الثاني (ج٢/ ١١١ ـ ١١٢).

ـ أخطاء الكُتَّاب في العربية (ج٢/ ١٣٤ ـ ١٣٦).

الجزء الرابع: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م):

ـ تفسير سورة الفاتحة (٣) (ج٢/ ١٤٤ ـ ١٤٧).

ـ تفسير آية التغابن (ج٢/ ١٤٨ ـ ١٥٠).

ـ دعاء النبي ﷺ عند النوم (ج٢/ ١٥٠).

ـ فتوى: تحليف الشاهد بالطلاق لتعزيز شهادته (ج٢/ ١٦٣).

الجزء الخامس: (١٣٥٦هـ = ١٩٣٨م):

ـ تفسير سورة الفاتحة (٤) (ج٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٢ و٢٥ ـ ٢٢٦).

الجزء السادس: (١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م):

ـ تفسير سورة الفاتحة (٥) (ج٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٥).

ـ الفتاوى والأحكام:

١ ـ فتوى في التزوّج من الكتابيات اللاتي أصبحن شعوبيات لا دين لهن (ج٢/ ٢٦٠).

٢ ـ فتوى في رجل أنجب من زوجته بنين وبنات ثم علم أنّها أخته من الرضاع (ج٢/ ٢٦١).

٣ ـ فتوى في أرض وقف، استولت عليها الدولة، وأسَّست فيها قرية ثم أقيم بها جامع تقام فيه الجمعة.

٤ ـ فتوى في قراءة القرآن جهراً يوم الجمعة قبل خروج الإمام للصلاة.

الجزء السابع: (١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م).

ـ تفسير سورة الفاتحة (٦) (ج٢/ ٢٩٥ ـ ٣٠٠).

الجزآن الثامن والتاسع: (١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م).

ـ من تفسير سورة البقرة (ج٢/ ٣٤٥ ـ ٣٥١).

ـ دفع إشكال في حديث نبوي (ج٢/٣٥٨ ـ ٣٦١) [عن تأويل حديث: «سألتُ ربي أن لا يسلّط على أمّتي عدوّاً من سوى أنفسهم»].

المجلد الثالث:

الجزء الأوّل: (١٣٥٧هـ = ١٩٣٩م).

ـ تفسير سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (مج٣/ ٧ ـ ١٠).

الجزء الثاني: (١٣٥٧هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير آيات من سورة البقرة (مج٣/ ٤٩ ـ ٥٢).

ـ لا عزاء بعد ثلاث (ج٥٩ ـ ٦١).

الجزء الثالث: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ المقصد العظيم من الهجرة (مج٣/ ٩٤ ـ ٩٧).

الجزء الرابع: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مج٣/ ١٦٠ ـ ١٦٣).

الجزء الخامس: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (مج٣/ ٣١٢ ـ ٣١٧).

ـ التقوى وحُسن الخُلُق (مج٣/ ٢٢٤ ـ ٢٣١).

الجزء السادس: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (مج٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٣).

ـ تحقيق معنى لفظ (العزاء) ردٌّ على ما ورد إلى المجلّة الزيتونيّة من تعقيب على مقال ابن عاشور (لا عزاء بعد ثلاث) من العالم الفاضل الشيخ ابن باشير الرابحي إمام وخطيب جامع سيدي محمد ببلدة الزحاولة في الجزائر) (مج٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

الجزآن السابع والثامن: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ (مج٣/ ٣١٠ ـ ٣١٢).

الجزء التاسع: (١٣٥٨هـ = ١٩٣٩م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية (مج٣/ ٣٦٤ ـ ٣٦٨).

المجلّد الخامس:

الجزء الخامس: (١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ حتى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ (مج٥/ ٧٠ـ ٧٤).

الجزء السادس: (١٣٦٣هـ= ١٩٤٤م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ وحتى قوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (مج٥/ ١٠٠ ـ ١٠٥).

- الصّاع النبويّ (مج٥/ ١١٨ ـ ١٢٣).

الجزء السابع: (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (مج٥/ ١٤٢ ـ ١٤٥، ١٥٣).

- مراجعة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (مج٥/ ١٤٦ ـ ١٤٨).

الجزء الثامن: (١٣٦٣هـ= ١٩٤٤م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (مج٥/ ١٨٧ ـ ١٩٠).

- خطبة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه في موكب التنصيب بجامع الزيتونة (مج٥/ ٢٣١ ـ ٢٣٣).

الجزء العاشر: (١٣٦٤هـ= ١٩٤٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (مج٥/ ٢٣٦ ـ ٢٤٠).

المجلد السادس:

الجزء الأول: (١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ (مج٦/ ٣١٦ـ ٣١٩).

الجزآن الثاني والثالث: (١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م):

- خطاب صاحب السماحة والفضيلة الأستاذ الأكبر المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الأعظم وفروعه بمناسبة الحفل البهيج باختتام السنة الدراسية بالجامع المعمور (مج٦/ ٣٦٣ـ ٣٦٩).

الأجزاء الرابع والخامس والسادس: (١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (مج٦/ ٤٤٤ـ ٤٤٦).

الجزآن السابع والثامن: (١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م):

- خطاب عميد الزيتونة فضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (مج ٦/ ٤٨٩ـ ٤٩٠).

الجزء العاشر: (١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م):

- خطاب سماحة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأعظم وفروعه: موسم ختم السنة الدراسية (مج٦/ ٥٨٧ـ ٥٩٠).

- بقية تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (مج٦/ ٥٩١ـ ٥٩٤).

المجلد السابع :

الجزء الأول : (١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م) :

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (مج٧/ ٦٢٨ ـ ٦٣١) .

ـ حديث : «مَن لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم» (مج٧/ ٦٤٩ ـ ٦٥٢) .

المجلد الثامن :

الجزء الأوّل : (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) :

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (مج٨/ ٣ ـ ٨) .

الجزء الثاني : (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) :

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (مج٨/ ٥١ ـ ٥٤) .

ـ تصحيح أخطاء وتحاريف في اللغة العربية من طبعة جمهرة الأنساب لابن حزم (١) (مج٨/ ٦٦ ـ ٧٠) .

الجزء الثالث : (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م) :

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ (مج٨/ ٩٧ ـ ٩٨) .

ـ تصحيح أخطاء وتحاريف في اللغة العربية من طبعة جمهرة

الأنساب لابن حزم (٢) (مج٨/ ١١٣ ـ ١١٧).

الجزء الرابع: (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (مج٨/ ١٤٧ ـ ١٥٢).

ـ تصحيح أخطاء وتحاريف في اللغة العربية من طبعة جمهرة الأنساب لابن حزم (٣). (مج ٨/ ١٦٥ ـ ١٦٩).

المجلد التاسع:

الجزء الأوَّل: (١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (مج٩/ ٤ ـ ٦).

الجزء الثاني: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (مج٩/ ٥٢ ـ ٥٥).

ـ تحقيقات لغويّة: لفظ كلّ يستعمل الكثرة استعمالاً حقيقياً يساوي استعماله في الشمول (مج٩/ ٧٦ ـ ٧٩).

الجزء الثالث: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (مج٩/ ١٠١ ـ ١١٠).

الجزء الرابع: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (مج٩/ ١٦٥ - ١٧٠).

- الأدب: طريقة من شعر العرب في توجيه الخطاب إلى المرأة. (مج٩/ ٢٠٧ - ٢١٣).

الجزء الخامس: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. (مج٩/ ٢٣٠ - ٢٣٥).

- خطط الطاهر لتطوير الزيتونة. (مج٩/ ٣٥٣ - ٣٥٧).

الجزء السادس: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. (مج٩/ ٢٩٤ - ٢٩٩).

الجزء السابع: (١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م):

- تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾. (مج٩/ ٣٥٨ - ٣٦٣).

* * *

مقالاته في مجلّة الهداية الإسلامية

أسَّس الشيخ الإمام محمد الخضر حسين في القاهرة (جمعية الهداية الإسلامية) مع لفيف من العلماء، ورسم لها أهدافاً تعمل على تحقيقها، منها: السعي لتعارف الشعوب الإسلامية، ورفع التجافي عن الفرق الإسلاميّة، ونشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر، ومقاومة الإلحاد، والجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية.

صدر العدد الأول من مجلّتها في جمادى الثانية في سنة (١٣٤٧هـ)، وهي مجلّة إسلامية، علميّة، أدبيّة، اجتماعيّة، شهريّة، يرأس تحريرها ويشرف على توجيهها الإمام محمد الخضر حسين.

أمضت المجلّة في جهادها الإسلامي والعلمي ما يزيد عن ربع قرن، ولم تتوقّف إلا من مطلع سنة (١٣٧٠هـ) حتى نهاية (١٣٧٢هـ)، وهي المدّة التي قام خلالها الإمام على مشيخة الأزهر، وكان آخر أعدادها فيما أعلم العدد الرابع من المجلد الرابع والعشرين الذي صدر في (محرم ـ ربيع الثاني ١٣٧٤هـ)[١].

ونظراً للصلة الكبيرة بين الشيخين فقد كان ابن عاشور يخصّ هذه المجلّة بمقالات؛ وهذا ثَـبَـتٌ بها:

المجلد الثاني:

الجزء الثاني عشر: (القاهرة، جمادى الأولى، ١٣٤٩هـ):

ـ المحكم والمتشابه: درس من دروس التفسير التي يلقيها في جامع الزيتونة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المحقّق السيد محمد الطاهر ابن عاشور كبير أهل الشورى (المحكمة الشرعية المالكية) في

(١) انظر: فهارس الهداية الإسلامية، إعداد: علي الرضا الحسيني، ص٣ ـ ١٠.

تونس، وهو درس بلغ من غزارة العلم والتحقيق غايتهما. (مج ٢/ ٦٢٧ - ٦٣٨).

المجلد الثالث:

الجزء الثاني (رجب، ١٣٤٩هـ):

- الفتاوى والأحكام: حكم زكاة الأوراق النقدية. (مج ٢/ ٦٢ - ٦٤).

- الفتاوى والأحكام: حكم زكاة الأوراق المالية المعبّر عنها بتذاكر البانكة[1]. (مج ٢/ ٦٤ - ٦٦).

المجلد السادس:

الجزء السادس:

- اللفظ المشترك في اللغة العربية (١): (مج٦/ ٣٠٢ - ٣١١).

الجزء السابع: (المحرَّم، ١٣٥٣هـ):

- اللفظ المشترك في اللغة العربية (٢): (مج٦/ ٣٥٤ - ٣٦١).

الجزآن التاسع والعاشر: (ربيع الأول وربيع الثاني، ١٣٥٣هـ):

- أثر الدعوة المحمدية في الحرية والمساواة. (مج٦/ ٤٥٠ - ٤٧٤).

المجلَّد السابع:

الجزء التاسع: (ربيع الأول، ١٣٥٤هـ):

---

(١) طُبعت مذيّلة باسم (محمد الطاهر ابن عاشور: باش مفتي المالكية بتونس).

ـ إعراض الرسول عليه الصلاة والسلام عن الاهتمام بتناول الطعام : (مج٧/ ٤٥٠ ـ ٤٦٣).

الجزء العاشر : (ربيع الثاني، ١٣٥٤هـ) :

ـ الزكاة في الأموال (مج٧/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣).

الجزء الحادي عشر : (جمادى الأولى، ١٣٥٤هـ).

ـ زكاة الأموال : بيان وتكميل (مج٧/ ٥٧٥ ـ ٥٨١).

المجلد الثامن :

الجزء الرابع : (شوال، ١٣٥٤هـ) :

ـ تحقيق ترجمة عالم كبير وإصلاح وهم في تسميته. (مج٨/ ٢١٢ ـ ٢١٦).

وهو بحث في تحقيق اسم (أبي مسلم الأصفهاني) الذي أنكر وقوع النسخ، وقال: إنه من قبيل التخصيص، وينقل عنه المفسّرون والأصوليون.

وحقّق أنّه محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، المعتزلي، مترجم في (طبقات المفسرين).

الجزء التاسع : (ربيع الأول، ١٣٥٥هـ) :

ـ المعجزات الخفيّة للحضرة المحمّدية. (مج٨/ ٥٣٣ ـ ٥٥٣).

الجزء الحادي عشر : (جمادى الأولى، ١٣٥٥هـ) :

ـ حكم قراءة القرآن على الجنازة. (مج٨/ ٦٨٥ ـ ٦٨٨).

ـ بيان وتأصيل للجواب عن قراءة القرآن على الجنازة وتحقيق لحكم البدعة والمنكر (١). (مج٨/ ٦٨٩ ـ ٦٩٨).

الجزء الثاني عشر : (جمادى الآخرة، ١٣٥٥هـ) :

ـ بيان وتأصيل للجواب عن قراءة القرآن على الجنازة وتحقيق لحكم البدعة والمنكر (٢). (مج٨/ ٧٤٣ـ٧٥٣).

المجلَّد التاسع :

الجزء الأوَّل : (رجب، ١٣٥٥هـ).

ـ قراءة القرآن في محطّة الإذاعة : (مج٩/ ١٢ ـ ٢٠).

الجزء الثالث : (رمضان، ١٣٥٥هـ) :

ـ ورقة مطويّة من تاريخ الفلسفة الإسلامية ـ الشيخ ابن سينا والحكمة المشرقيّة (١). (مج٩/ ١٤١ ـ ١٥٤).

الجزء الرابع : (شوال، ١٣٥٥هـ) :

ـ ورقة مطويّة من تاريخ الفلسفة الإسلامية ـ الشيخ ابن سينا والحكمة المشرقيّة (٢). (مج٩/ ٢٠٩ـ٢١١).

ـ الوقف وآثاره في الإسلام. (مج٩/ ٢٤١ـ٢٥٦).

الجزء العاشر : (ربيع الآخر، ١٣٥٦هـ) :

ـ المدينة الفاضلة. (مج٩/ ٥٧٨ـ٥٩٤).

المجلَّد العاشر :

الجزء السابع : (المحرم، ١٣٥٧هـ) :

ـ مَن يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (١). (مج١٠/ ٤٠١ ـ ٤١٣).

الجزء الثامن : (صفر، ١٣٥٧هـ) :

ـ مَن يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (٢). (مج١٠/ ٤٦٣ ـ ٤٧٤).

الجزء التاسع: (ربيع الأوَّل، ١٣٥٧هـ):

ـ مسألة خفيّة من مباحث الفلسفة الإسلاميّة: وحدة الوجود. (مج١٠/ ٥١٧ـ ٥٢٢).

ـ مَن يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (٣). (مج١٠/ ٥٦٣ـ ٥٦٥).

الجزء العاشر: (ربيع الثاني، ١٣٥٧هـ):

ـ مجلس رسول الله ﷺ. (مج١٠/ ٥٧٨ـ ٥٩٧).

الجزء الحادي عشر: (جمادى الأولى، ١٣٥٧هـ):

ـ مَن يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (٤). (مج١٠/ ٦٧١ـ ٦٧٥).

الجزء الثاني عشر: (جمادى الآخرة، ١٣٥٧هـ):

ـ زكاة الأنعام: (مج١٠/ ٧٥٤ـ ٧٥٦).

المجلد الحادي عشر:

الجزء الأوَّل: (رجب ١٣٥٧هـ = سبتمبر/ أيلول ١٩٣٨م):

ـ مَنْ يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (٥) (مج١١/ ١٧ ـ ٢٠).

الجزء الثالث: (رمضان، ١٣٥٧هـ):

ـ الفتاوى والأحكام: زكاة الحبوب والأموال.

الجزء الرابع: (شوَّال، ١٣٥٧هـ):

ـ مَن يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها (٦): (مج١١/ ١٥١ ـ ١٥٢).

الجزء الخامس: (ذو القعدة، ١٣٥٧هـ):

ـ قراطيس من نقد الشعر (١): (مج١١/ ٢١٣ ـ ٢١٤):

الجزء السادس: (ذو الحجة، ١٣٥٧هـ):

- مَن يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها (٧): (مج١١/ ٢٤٧ـ٢٤٨).

- زكاة الحبوب: (مج١١/ ٢٧٤ـ٢٧٦).

الجزء السابع: (المحرم، ١٣٥٨هـ):

- من يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها (٨): (مج١١/ ٢٩٩ـ٣٠٣).

الجزء الثامن: (صفر، ١٣٥٨هـ):

- مَن يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها (٩) (مج١١/ ٣٤٨).

- قراطيس من نقد الشعر (٢) (مج١١/ ٣٧٩ـ٣٨٠).

الجزء التاسع: (ربيع الأوَّل، ١٣٥٨هـ):

- قراطيس من نقد الشعر (٣). (مج ١١/ ٤٠١).

الجزء العاشر: (ربيع الثاني، ١٣٥٨هـ):

- معجزة الأمية (مج١١/ ٤٣٣ـ٤٤٠).

المجلد الثاني عشر:

الجزء الأوّل: (رجب، ١٣٥٨هـ):

- حكمة التشريع الإسلامي وأثره على الأخلاق: (مج١٢/ ٢ـ٤).

الجزء العاشر: (ربيع الثاني، ١٣٥٩هـ):

- مَن يجدِّد لهذه الأمَّة أمر دينها (٩): (مج١٣/ ٣١٣ـ٣١٧، ٣٢٢).

الجزء الحادي عشر: (جمادى الأولى، ١٣٥٩هـ):

- الكتاب الذي همَّ به رسول الله قبل وفاته ﷺ (١). (مج١٢/ ٣٣٧ - ٣٤٢).

الجزء الثاني عشر: (جمادى الثانية، ١٣٥٩هـ):

- الكتاب الذي همَّ به رسول الله قبل وفاته ﷺ (٢). (مج١٢/ ٣٧١ - ٣٧٦).

المجلد الثالث عشر:

الجزء السادس: (ذو الحجة، ١٣٥٩هـ):

- قراطيس من نقد الشعر (٤). (مج١٣/ ١٠٧ - ١٠٩):

- نظرات على ترجمة السكّاكي. (مج١٣/ ١٣٠ - ١٣٥).

المجلد السابع عشر:

الجزء السابع: (المحرم، ١٣٦٤هـ):

- تذييل لترجمة سعد الدين التفتازاني: (مج١٧/ ٧ - ٩).

* * *



رقم

عقدت لجنة الاعضاء المراسلين المؤلفة من الامير جعفر الحسني والدكتور جميل صليبا والدكتور سامي الدهان عدة اجتماعات برئاسة رئيس المجمع العلمي العربي ورأت ان ترشح العلماء الآتية اسماؤهم وهم

ديدرينغ — السويد

S. DEDERING

تخصص بالدراسات التاريخية . ونشر جزءين (الثاني والثالث) من الوافي بالوفيات للصفدي سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٣

نيبرغ — السويد

H. S. NYBERG

خلف للاستاذ زترستين في الاستشراق والتدريس ، وخلفه في جامعة (أوبسالا) وبها مكتبة كبيرة للمخطوطات العربية . تخصص في التصوف ، وترأس تحرير مجلة العالم الشرقي . ونشر كتاب الانتصار للمعتزلة — للخياط ، وحقق مؤلفات ابن عربي ، انشاء الدوائر ، عقلة المستوفز ، التدبيرات الالهية ونشرها بهولندة سنة ١٩١٩ مع ترجمتها بالالمانية . وكتب كثيرا من المقالات عن التصوف والمعتزلة في دائرة المعارف الاسلامية ، وأشهرها مقالة عن المعتزلة والخياط .

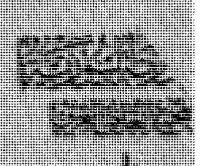
آصف علي أصغر فيضي — الهند

ولد في ١٠ ابريل ١٨٩٩ — درس القانون في كمبردج ونال فيه مرتبة الشرف الاول وعين عميدا لكلية الحقوق في بومباي ، ودرّس الشريعة الاسلامية وثقافتها . وعين سنة ١٩٤٩ سفيرا لبلاده في مصر ولبنان وسورية والاردن وظل في منصبه حتى سنة ١٩٥١ .

تآليفه كثيرة منها بالانكليزية . المدخل للقانون المحمدي — الثقافة الاسلامية ، ونشر بالعربية كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان بن محمد مع مقدمة وتعليقات .

وهو يجيد لغات عديدة . العربية ، الفارسية ، الاردية ، الكجراتية ، والمراتية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والالمانية . وهذه بعض عناوين كتبه بالانكليزية .

1- A Shi'ite Creed
2- The Ismaili Law of Wills
3- Outlines of Muhammadan law



[illegible]

[illegible] سنة ١٩٠٦ [illegible]

[illegible] ١٩١٣ [illegible]

[illegible] ١٩١٢ ـ ١٩٢٢ [illegible]

[illegible] ١٩٤١ ـ ١٩٥٠ [illegible] ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

[illegible]

[illegible] سنة ١٩١٨ [illegible]

[illegible]

[illegible]

١ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible]

٣ ـ ابن البناء

٤ ـ ابن عبدون المكناسي

٥ ـ [illegible]

٦ ـ ابن رشيد

٧ ـ [illegible]

[illegible]

السيد علال الفاسي ـ مراكش

[illegible]

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ تونس

[illegible]

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

حضرة الأستاذ خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي:

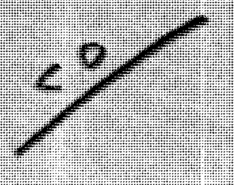
ورد علي كتابكم رقم ٢١١ تعلمونني فيه بأن المجمع العلمي العربي بدمشق قرر في جلسته المنعقدة في ١٠ كانون الأول سنة ١٩٥٥ انتخابي عضوا مراسلا للمجمع، وإنما أشكر هيئة المجمع على شد هذه العروة للصلة بيني وبينكم، وأوافق على هذا الانتخاب.

وتقبلوا فائق تحيتي والإعراب عن وافر مودتي.

تحريرا في ١٩ جمادى الأولى و٢ كانون الثاني سنة ١٣٧٥ / ١٩٥٦

محمد الطاهر ابن عاشور





رقم

الى وزارة المعارف

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٠
كانون الاول سنة ١٩٥٥ الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور (تونس) عضوا
مراسلا ، وهو من الاساتذة المشهورين بسعة الاطلاع وخدمة الاداب
العربية ، وقد استطلع المجمع العلمي رأيه في هذا الشأن فورد الجواب
بالموافقة والرغبة ، فالمرجو ان تتفضلوا بالموافقة على ذلك وتستصدروا مرسوم
تسميته المرسل درج هذا الكتاب .
دمشق في ١٩٥٦/١/٢١

رئيس المجمع العلمي العربي



رقم المرسوم ٢٤٤

ان رئيس الجمهورية السورية

بناء على المادة الرابعة من المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ١٩٤٧/٦/٣٠ .

وبناء على المرسوم رقم (٢٣٥٠) تاريخ ١٩٤٨/١١/١ .

وبناء على الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٥٥ .

وبناء على اقتراح وزير المعارف .

" يرسم ما يلي "

١ ــ يعين الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور (تونس) عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

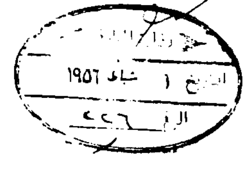
٢ ــ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذ احكامه .

دمشق في ٢٠/١/١٩٥٦

صدر عن رئيس الجمهورية
شكري القوتلي

رئيس مجلس الوزراء
سعيد الغزي

وزير المعارف
مأمون الكزبري


التاريخ ١ شباط 1956

المملكة التونسية

الجامعة الزيتونية

تونس

الحمد لله وحده

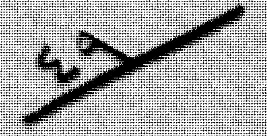
حضرة الأستاذ خليل مردم
رئيس المجمع العلمي العربي

السلام عليكم

اجابة لطلبكم المحرر في طي كتابكم رقم ... الموجه
اليكم ... طيه ترجمتي تشتمل على ما تعرف به
من نسبي ... التي خدمت وجهت في شبابي
... وما أذكره ... لينشر في مجلة المجمع
خصوصا ... في ما أكثر ... إدارة الشؤون بخصوص
الجامعة الزيتونية وهي في سنة تطويرها واصلاح برامجها
وتعليقا بما يأتي من مسائل ذلك ، والكمال لله
... .

حرر في ثاني ذي القعدة وثاني جوان سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٧

عضو المجمع العلمي العربي المراسل
وشيخ الجامعة الزيتونية بتونس
محمد الطاهر ابن عاشور





رقم   حضرة الأستاذ السيد محمد الطاهر بن عاشور المحترم

نبعث إليكم مع هذه الرسالة بنسخة من مرسوم انتخابكم عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ؛ راجين أن تبعثوا إلينا بنسختين من كل من مؤلفاتكم مع ترجمة حياتكم وصورتكم الشمسية ومقالة ننشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام .

دمشق في ٥ كانون الثاني سنة ١٩٥٦

رئيس المجمع العلمي العربي

الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
مجمع اللغة العربية بدمشق

رقـم : ٤٢٨/ص

حضرة الأستاذ الدكتور ... عضو مجمع اللغة العربية بدمشق المحترم

تحية طيبة ، وبعد فإن أسابيع الثقافة لدى مجمع اللغة العربية
ماتزال خالية من توجيهكم الشخصية الفصلية ، وقد سبق أن أسسها
التي ذلك في كتاب سابق وجه إلى الرئيسة الأخيرة ، وأسباب
حضوركم وحج حضوركم الأخير .

فنرجو موافاتنا بتوجيهكم الفصلية مشتملة كل المعلومات المناسبة
لكم لتقديم إلى أسابيعكم مع هوية تسجيلي الشامل .

وتفضلوا بقبول الشكر .

دمشق في ١٣/٦/١٩٧١

مجمع اللغة العربية بدمشق
الرئيس
الدكتور حسني سبح

مصادر البحث

١ ـ **إتمام الأعلام**، نزار أباظة ورياض المالح، دمشق: دار الفكر، بيروت: دار صادر، ط٢، (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م).

٢ ـ **آثار الإمام البشير الإبراهيمي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، (١٩٩٧م).

٣ ـ **الأدلَّة البيّنة النورانيّة في مفاخر الدولة الحفصية**، أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، تحقيق: محمد الطاهر المعموري، تونس، ليبية: الدار العربية للكتاب، (١٩٨٤م).

٤ ـ **أصول الإنشاء والخطابة**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: مطبعة نهج الجزيرة، (١٣٣٩هـ).

٥ ـ **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، محمد الطاهر ابن عاشور، عمان: دار النفائس، تعليق: محمد الطاهر الميساوي، ط١.

٦ ـ **أليس الصبح بقريب**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، ط٢، ١٩٨٨م.

بلخوجة = مقدمة مقاصد الشريعة.

٧ ـ **تاريخ الجزائر الثقافي**، تأليف: أبي القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م.

٨ ـ **التراث المجمعي في خمسين عاماً (١٩٣٤ ـ ١٩٨٤م)**، تأليف: إبراهيم الترزي، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

٩ ـ **تراجم المؤلّفين التونسيين**، محمد محفوظ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

١٠ ـ **تفسير التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، (١٩٧٤م).

١١ ـ **تونس وجامع الزيتونة**، محمد الخضر حسين، جمعه وحقّقه علي الرضا الحسيني، (١٣٩١هـ = ١٩٧١م)، دمشق: المطبعة التعاونية، ط١.

١٢ ـ **حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول للقرافي**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: مطبعة النهضة، (١٣٤١هـ).

١٣ ـ **خواطر الحياة: ديوان شعر**، محمد الخضر حسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، دمشق: الدار الحسينية للكتاب.

١٤ ـ **ديوان بشار بن برد**، ناشره ومقدّمه وشارحه ومكمّله: محمد الطاهر ابن عاشور، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م).

١٥ ـ **سيّدي الوالد زين العابدين بن الحسيني التونسي**، تأليف: علي الرضا الحسيني، دمشق: الدار الحسينية للنشر.

١٦ ـ **شرح المقدّمة الأدبية لشرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام**، محمد الطاهر ابن عاشور، ليبية، تونس: الدار العربية للكتاب، ط٢، (١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م).

١٧ ـ **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور: حياته وآثاره**، تأليف: بلقاسم الغالي، بيروت: دار ابن حزم، ط١، (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م).

الغالي = شيخ الجامع الأعظم.

١٨ ـ **فهارس مجلة الهداية الإسلامية**، إعداد: علي الرضا الحسيني، دمشق: الدار الحسينية للكتاب.

١٩ ـ **قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق**، جمع وتعليق: محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: مطبعة العرب، (١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م).

٢٠ ـ **اللغة العربية في مواكبة التفكير العلمي أو من وحي مجلة المباحث التونسية (١٩٤٤ ـ ١٩٤٨م)**، بقلم: محمد سويسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، (١٤١١هـ = ٢٠٠١م).

٢١ ـ **مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً (١٩٣٤ ـ ١٩٨٤م)**، بقلم: شوقي ضيف، القاهرة: مجمع اللغة العربية ط١، (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).

٢٢ ـ **مصادر الدراسة الأدبية**، يوسف أسعد داغر، بيروت: الجامعة اللبنانية، (١٩٧٢م).

٢٣ ـ **مع الخالدين**، إبراهيم مدكور، القاهرة: مجمع اللغة العربية، (١٤٠١هـ = ١٩٨١م).

٢٤ ـ **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر ابن عاشور، عمان: دار النفائس، تعليق: محمد الطاهر الميساوي، ط١.

٢٥ ـ **مقالات الإمام محمد الطاهر ابن عاشور**، إعداد وضبط: علي الرضا الحسيني، دمشق: الدار الحسينية للكتاب، (٢٠٠١م).

٢٦ ـ **مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر ابن عاشور**، محمد الحبيب بلخوجة، دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٤م. (الإشارات المرجعية المعتمدة هي للنسخة المرقونة قبل الطبع).

٢٧ ـ **ملف (إضبارة) محمد الطاهر ابن عاشور في مجمع اللغة العربية بدمشق**.

٢٨ ـ **منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي**، محمد مسعود جبران، طرابلس: مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس، (١٩٨٨م).

٢٩ ـ **موجز البلاغة**، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس: المطبعة العلمية، (١٩٣٩م).

٣٠ ـ **الموسوعة العربية**، دمشق: رئاسة الجمهورية، هيئة الموسوعة العربية، (١٩٩٨م).

٣١ ـ **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، (١٩٩٩م)، ط٢.

٣٢ ـ **موسوعة بيت الحكمة**، بغداد: بيت الحكمة.

٣٣ ـ **النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح**، ليبية، تونس: الدار العربية للكتاب، ط٢، (١٣٩٨هـ = ١٩٧٩م).

٣٤ ـ **نظرات في ديوان بشار**، شاكر الفحام، دمشق: مجمع اللغة العربية، ط٢، (١٩٨٣م).

٣٥ ـ **ومضات فكر**، محمد الفاضل ابن عاشور، تونس: الدار العربية للكتاب، تقديم: عبد الملك بن محمد الطاهر ابن عاشور.

الدوريات:

١ ـ المجلة الزيتونية.

٢ ـ مجلة الهداية الإسلامية.

٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٤ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

* * *

فهــرس المحتويات

الفصل الثاني
تعريف بمؤلّفاته

* * *